مطبوعات أخبار اليوم
قطاع الثقافة

عظماء الدنيا وعظماء الآخرة

د. مصطفى محمود

■ رئيس مجلس الإدارة
إبراهيم سعده

الطبعة السادسة

هذه التمثيلية مستوحاة مما كتبه الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى فى رسالته عن «المضاددة» أى صراع المتناقضات داخل النفس البشرية حينما تريد النفس شيئا وتتمنى نقيضه.. وذلك من تجلى الأسماء الإلهية الحاكمة عليها.. المعز .. المذل.. القابض.. الباسط.. الخافض.. الرافع.. الجبار .. الرحيم.. العفو .. المنتقم.. فتكون بين حالين.. تريد الشىء وتتمنى عكسه.. ويكون الغالب على النفس هو الاسم الإلهى الأقرب إلى حقيقتها والمعبر عن سريرتها.

وهكذا تُبتلى الأنفس لتُخرج ما فيها وتبوح بخوافيها.

ويدور النص حول الإسمين الإلهيين.. الظاهر والباطن.

الإسم «**الظاهر**» وهو الحاكم والغالب على أهل الظاهر.. من محبى الدنيا والشهرة والجاه والظهور والغلبة والذيوع وعلو الاسم.

والإسم «**الباطن**» وهو الحاكم والغالب على أهل الباطن من محبى العزلة والخلوة والتأمل والتعبد.. أو فلنقل إن الصراع بين النفس الدنيوية الأمارة، والنفس الربانية اللوامة.

ويدور الجدل والصراع بين الشخصين اللذين يمثلان لنا أهل الظاهر وأهل الباطن، أو النفس الدنيوية والنفس اللوامة ، وهما فى الحقيقة شخص واحد أو نفس واحدة.. وكل ما على المسرح نفس واحدة.. وإن تعددت فى الظاهر الشخوص وتعدد الأبطال.. إنما هى نفس واحدة

تعتلج فيهـــا أحكـام الاسم الإلهى الظــاهــر، والاسم الإلهى البـــاطن.. ويتناوب عليها بريق الدنيا ومحاذير الآخرة.

وأكثر حـوار التمثيلية من كلام الشيخ محيى الدين بن عـربى نفسه وكذلك الأشعـار أشعاره ، وما أضفت من عنـدى سوى بعض ضرورات القالب التمثيلى، وسوى محاولة لفهم أعماق هذا النص الإسلامى النادر.

***

حينما تُطفأ الأنوار فى الصالة نسمع هذه التقدمة فى أداء قـوى مؤثر:

خلق الله الإنســان من عنــاصر متضــادة.. وهى النـار والماء والتراب والهواء ، ثم ركب الجســد ونفخ فيه الـروح وهى ضده ونقيضـه ، فهى لطيفـة وهـو كثيف، بسيطـة وهـو مـركب ،مجردة من الصـورة وهـو مصور.. وهى تحن إلى العودة إلى سمائها وهو يحن إلى العودة إلى ترابه

ثم جعل الإنســان بجملتـه بين أحوال متضــادة.. بين صيف وشتـا وربيع وخـريف وعلم وجهل وطاعـة ومعصية ودنيـا وآخرة وجنـة ونار وصحة ومرض ونوم ويقظـة ونور وظلمة وقبض وبسط وسرور وحزن وفـرح وهم وغنى وفقر وعـز وذل وراحـة وتعب وجوع وشبع وشبـاب وهرم وقـوة وضعف وحياة ومـوت.. وجعل فى نفسه مثل هـذا التناقض والتقلب فى الأحوال.. والحكمـة من كل هذا أن تتعـرف النفوس على ربها وخالقهـا.. فليس كل مايجرى سوى أحكـام أسمائه الحسنى.. لا اله إلا هو.. ولاسواه.

﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾.

ثم تفتح الستـار على جماعـة من الصـوفيـة يترنمـون وينشـدون بأصوات جهورية مفردة وكورال.. الله.. الله .. الله .. الله .. الله .. الله

خلق الخلق وما يعملون .
وكلهم فى فلك يسبحون .
بحكمة للذات تجرى بهم .
أحكامها يعقلها العالمون .

لا يسأل عما يفعل.. وهم يسألون .
ثم يعاودون إنشاد نفس الأبيات بطبقات أخرى وأداء مختلف.. ويذكرون الله فى عمق وخشية.
الله .. الله .. الله .. الله .. الله .. الله .. الله .. الله
وكبيرهم يقول : إذا تناهت عقول العقلاء إنتهت إلى الحيرة.. فما أدركوا اللهوما عرفوا قدره.. فافهم.. وإلا سلِّم تسلم.. وقل :
(كل يعمل على شاكلته ، كل إلينا راجعون ..) .
إنما أراد الله أن يُعَرِّف كل مخلوق على حقيقة مكانته وحقيقة شاكلته حتى لا يكون لأحد اعتراض على آخرته.. جرمانا أو مثوبة..
لطفا بنا يارب.. لطفا بنا يا الله.
الله .. الله .. الله .. الله .. الله .. الله .. (ينشدون).
ينشدون فى كورال وفى أصوات مفردة من طبقة Bass والجواب السوبرانو مع تكوينات هارمونى.
هو الأول بلا أول قديم .
هو الآخر بلا آخر مقيم .
هو الظاهر بلا ظاهر خفى .
هو الباطن بلا باطن عليم .
يصيح : فافهم.. ونزه ووحد لا تشبه ولا تمْثل ولا تعطل ولا تجسم.. ودع المظاهر والباديات وأبحث عن الخواف الخافيات.
هو الظاهر فى كل ظاهر بلا ظاهر.
فافهم لا تقل فيما يظهر لك هو الله فتؤله المظاهر وتعبد المناظر.
وهو الباطن فى كل باطِن بلا باطن.
فافهم.. لا تقل فيما بَطُن فيك هو الله فتؤله نفسك وتعبد ذاتك.
أحد الصوفية يسأل :
— فماذا يكون إذن معنى الآية ياشيخ «هو الأول والآخر والظاهر والباطن» !!
أليس فى المعنى أنه لابد أن يكون ظاهرا؟! فيجيبه كبيرهم : نعم.. هو ما تقول.. ولكن كيف.. هنا اللغز والطلسم، فكروا كيف يكون ظهوره

سبحانه.. وكيف يكون ظهوره بدون ظهوره.. أطلبوا الفتح من ربكم.

■ **يشترك المشايخ فى الإجابة كل واحد يقول رأيه :**

— هو الظاهر فى كل شىء بصُنعه ، الباطن فى كل شىء بسره.

— هو الظاهر فى كل شىء بآلائه ، الباطن فى كل شىء بأسمائه.

— هو الظاهر فى كل شىء بآياته ، الباطن فى كل شىء ببيناته.

— هو الظاهر فى كل شىء بإيجاده ، الباطن فى كل شىء بإمداده.

— هو الظاهر فى كل شىء بتصويره ، الباطن فى كل شىء بتدبيره.

— هو الظاهر فى كل شىء بتقديره ، الباطن فى كل شىء بتسخيره.

— هو الظاهر فى كل شىء بحسن خلقته ، الباطن فى كل شىء بإتقان حكمته.

■ **كبيرهم :** أحسنتم جميعا.. فتح الله عليكم.. هو الظاهر فى كل شىء بإسباغ نعمته ، الباطن فى كل شىء بالعدل فى قسمته.

■ **ينشد كبيرهم :** لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.. ما وصف الواصفون، وما حار الحائرون ، وما سطر الكاتبون ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾.. (يردد البعض كلمات: ما نفدت كلمات الله.. ما نفدت كلمات الله).

■ **يهتف المشايخ :** بل وأضعاف ذلك أضعافه إلى ما لا نهاية له مانفدت كلمات الله ياشيخنا

■ **كبيرهم :** صدقتم.. فإن الفنا لايكون إلا فيما له حد يامشايخ والله تعالى منزه عن الحد

■ **أحد المشايخ :** لا حد لذاته ولا لصفاته ولا لأسمائه.. فكيف يتناهى فى ذلك تفسير المفسرين وفهم الفاهمين وتفكر المفكرين.. إن كل آية لا يسعها مجلدات لتفسيرها.

■ **كبير الصوفية :** ﴿ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾

■ **أحد المشايخ :** قال تعالى : ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾

■ **كبير الصوفية :** وقال تعالى : ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾

وقد تبصرت فى نفسى يامشايخ.. فرأيت ظاهرى ينكر على باطنى حسدا منه إذ السر فيه، ورأيت باطنى ينكر على ظاهرى عُجبا وتيها عليه مما يشاهد من مرائيه

يمضى الموكب وهو ينشد :

الله .. الله .. الله .. الله .. الله

يختفى المشايخ كلهم فى الظلمة ..

وتضىء الكشافات وتلقى بأنوارها الكاشفة على الشخصية التى سوف تعبر عن أهل الظاهر.. أهل الحظوظ الدنيوية.. أهل الشهرة والذيوع والكلام المسموع.

شخص فارع الطول على صدره النياشين وفى يده الصولجان وعلى رأسه ريشة ويلبس طيلسان الخلافة أو سترة قائد الجيوش، وهو ينشد مختالا ويتبختر ومن ورائه المطيباتى ينشد مصادقا على كلامه

■ **البطل :**	■ **المغنواتى:**
أنا الظاهر مجمل كل ظاهر	هو الظاهر مجمل كل ظاهر
بأوصافى تزينت المظاهر	بحليته تزينت المظاهر
أنا المشهور بين الناس طرا	هو المشهور بين الناس طرا
وذكرى قد علا فوق المنابر	وسيرته علت فوق المنابر

الإنشاد يقوم به دائما مغنواتى مطيباتى يقف دائما خلف البطل ويتغنى بآرائه ويترنم بأفكاره.. وهو نسخة مقلدة منه ولكنها باهتة اللون وبنفس ملابسه.

تخرج من ظلمة المسرح امرأة فى لباس الصوفية على وجهها قناع بنفس صورة قائد الجيوش ، وهى فى روايتنا تمثل النفس اللوامة لنفس الشخص وهى تتكلم فى تواضع العابدين الزاهدين المتبتلين ، وتنظر إلى نظيرها المختال لائمة معاتبة منكرة

■ **البطلة :** فى الظهـور ياهـذا كشف الستور.. وفى كشف الستـور قصم الظهور، تعال عندى فى الخفاء والكتمان والبطون والأمان، أشـهدك على مالدى من التجليات الحسان.

— من أنت يا هذه ؟.

— أنا أنت.

— أنت أنا .. كيف ؟؟.

— أنا نفسك التى بين جنبيك.

— نفسى فى جوفى يا امرأة.

— أنا جوفك.. أنا خزينتك.. أنا سرك الذى تكتمه عن الكل.

— وكيف تكونين كل هذا ياأختاه.

— أنا باطنك.

— ومن تكون تلك ؟ (يشاور على صاحبتها)

■ **تجيب صاحبتها:** أنا هى

جميل والله جميل أنت هى.. وهى أنـا.. وهى هو.. وهى بـاطنى.. هذا والله علم جديـد.. ماكنت أظن أن لى باطنا بهذه الصـورة.. وأنه يمكن أن يخرج منى ويتكلم

■ **البطلة (تنشد) :**

أنا الباطن خفيت عن النواظر

ولى معنى خفى بكل ظاهر

— وبى قد قامت الأعيان جمعا

وسرى قد سرى فى كل ظاهر

فلولا كشف سترى فى ظهورى

وقصم الظهر كنت بديت ظاهر

الإنشـاد تقـوم بـه مغنـواتيـة تهتف دائما خلف البطلة وتتغنى بـآرائها وتترنم بـأفكـارهـا وهـى تلبس نفس زيها وهـى نسخـة منهـا ولكنها باهتة اللون.

■ **صاحبتها المغنواتة :**

— تعالى أنت عندى كى تشاهد
مرائى باهرات كالجواهر
تصدقنى بنور الكشف جهرا
وتشهد أننى سر الظواهر

■ **البطل متباعدا (فى جفاء وحذر) :**
أنا وأنت ياشيخه لانلتقى فنحن نقيضان.
أنت ضدى وأنا ضدك ونحن فى عراك من قديم بلا هدنة.

■ **المرأة :** هذا صحيح، فأنت مركبة وأنا بحر.
والسفينة إذا دخلت البحر انحلّ تركيبها وظهرت عيوبها .

■ **البطل :** إنما أنت بحر بسيط غير مركب، وأنا بارجة وهيلمان.. بل أسطول مهول وأنا الربان.
وقائل هذا غير لاحد أو جاحد إنما الله إله واحد
فادخلى أنت إلى باطن أجزائى لتباركى أنحائى وأخبرك عن سالف أنبائى وأشكو لك دائى وحيرتى وغوائى لعل يكون على يديك هدائى وشفائى من علتى ودائى ،ولعل عراكنا القديم ينتهى إلى سلام ووئام ويزول الخصام ويهدأ الصدام.

— البحر ياسيدى ملك، من خالفه هلك، ومن وافقه سلك.
والسفينة قرية فيها مساكين يعملون فى البحر
أما سمعت قوله تعالى : ﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ﴾
فاصبر وصابر ورابط واتق تسلم
وازهد بدنياك واتركها معى تعلم

■ **البطل (يقول فى ثقة واستعلاء وخيلاء) :**
عندى الشريعة والأحكام قد حكمت
بالأمر والنهى والآيات قد ظهرت
كذا الدليل وبرهان وعلته

مع القياس وإجماع به جمعت

■■ **والمغنواتى يؤيده:**

هو الشريعة والأحكام قد حكمت
بالأمر والنهى والآيات قد ظهرت
كذا الدليل وبرهان وعلته
مع القياس وإجماع به جمعت

■ **المغنواتية على الجانب الآخر تنشد هى الأخرى فى تواضع :**

— عندى الحقيقة والإلهام قد جمعت
شمس المعارف فى رحباتها بزغت
إن الكواكبْ وإن جلّت مطالعها
لولا ضياء الشمس فيها قط ما طلعت

■ **يردها بشدة :**

كل حقيقة لاشريعة لها فهى عاطلة لأنها من الفروع عارية

■ **(ينشد) :**

حقيقة بلا فروع عاطلة
لأنها من الكمال عارية
وفى الفروع حكمة معلومة
تُرى الثمار من علاها بادية

■ **البطـلة** : بل الحقيقة هى الأصل وعليها تنبت الفروع.. ﴿أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها﴾

وكل فرع لا أصـل له : ﴿ كشجرة اجتثت من فـوق الأرض ما لها من قرار﴾

وما حُرمت من الوصول ياسيدى إلا بتضييع الأصول فافهم.

■ **البطل** : بل أنا الذى عندى الدليل والبرهان.

■ **البطلة** : وأنا عندى الكشف والإتقان.

■ **البطل** : وأنا عندى النصوص القواطع.

■ **البطلة** : وأنا عندى الفصوص اللوامع.

■ **البطل** : وأنا معى صولجان الأسباب.

■ **البطلة** : وأنا مع المسبب بغير حجاب.

■ **البطل** : أنا الظاهر فى السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح الحسان.

■ **البطلة** : ماتسمع إلا بى يافتى، وما تبصر إلا بى.. وما أنت إلا ترجمانى ومن أصولى نبت ومن أغصانى.

■ **البطل** : بل أنا الظاهر فى الظواهر برونقى الظاهر وقد أحدقت إلى النواظر.

— فرحت يا فتى برونقك الزاهر واغتررت بإحداق الخلق إليك بالنواظر ، وقد جاء فى الحديث عن النبى الطاهر أن الله لاينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم وإنما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم ، وقد أجمع على هذا أهل الباطن والظاهر وأنت ياهذا معاند مكابر.

■ **المغنواتية (تنشد)** :

خل عنك الريا والعُجب والخطرة
تُلاحظ الخلق غرك منهم النظرة
قد صح فى النقل أن الله خالقنا
ينظر إلى اللب لا ينظر إلى القشرة

■ **البطل** : صدقت يا نفسى فكيف الخلاص؟

■ **البطلة** :

بالإخلاص يا فتى بالإخلاص.

— وكيف الوصول .

— بحفظ الأصول.

— فهل اتبعك ويكون لك أجرى.

— إنك لن تستطيع معى صبرا.

— فكيف أنال مقصودك ؟

— بترك وجودك والفنا عن شهودك وبذل مجهودك.

— وكيف الفناء عن سمعى؟

— بشهود السامع فيك.. ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم.
— وكيف الفناء عن بصرى؟
— بشهود الناظر فيك.. ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين؟
— وكيف الفناء عن نطقى؟
— برجوعك إلى من أنطقك أول مرة.
— وكيف الفناء عن يدى؟
— يد الله فوق أيديهم.
— فكيف الفناء عن سيرى؟
— هو الذى يسيركم فى البر والبحر.
— فكيف الفناء عن علمى؟
— والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وعلّمك ما لـ تكن تعلم.
— وكيف الفناء عن عملى؟
— والله خلقكم وما تعملون.
— وكيف الفناء عن مالى؟
— ليس لك من الأمر شىء.. وما بكم من نعمة فمن الله.. وأنفقو مما جعلكم مستخلفين فيه.
— وماذا سأبقى لعيالى؟
— وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك.
— أخشى من الناس
— فقل لى عملى ولكم عملكم
— فإن آذونى؟
— فاصبر وما صبرك إلا بالله
— وإن قتلونى؟
— ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون
— وإلى متى يكون هذا؟

— اعبد ربك حتى يأتيك اليقين .. يقين الموت يا عبد الله
— ضيقت .. على حالى.. سامحك الله
— إذا ضاق الأمر اتسع.. حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا.
— ظنى فى الله جميل
— الرجاء لا يخيب طالما صاحبه عمل وإلا فهو أمنية
— وأين الصلاح؟ إذن
— الله يعلم المفسد من المصلح
— لابد فىّ شىء من الصلاح.. تصدقى على ببعض الأمل ياأختاه
— صلاحك من بعض صلاحى.. ألآ وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ألا وهى القلب.. قلبك ياسيدنا قلبك هو مفتاح نجاتك
— أنا رضيت بمقام العوام.. إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما.. وربنا ستار العيوب وقد سهل لنا الخروج من الذنوب
— تجتنب الكبائر الجلية ولا تجتنب الكبائر الخفية وهى الكبر والعُجب والرياء ما الفائدة؟.. لقد أوقعت نفسك فى مصائب أكبر
— حيرتنى يانفسى كيف السلامة من هذه الملامة وحصول الكرامة؟
— بترك الظاهر وحطامه والوقوف عند حدود الله وحفظ أحكامه ومحاسبة النفس على الذرة والقلامة وتتقى الله بوسيلة إليه تُدعى به يوم القيامة.

■ **المغنواتية (تنشد) :**

يا من يؤمل أن يفوز بوصلنا
من غير حفظ للعهود ولا عنا
والنفس فيما تشتهيه مع الهوى

ارجع وتب واخلص لنا تحظى بنا

— وكيف أترك الظاهر وقد تجلّ فى الظاهر وحفتنى النواظر.. ومن هم أهل الوسائل الذين نتقى بهم الغوائل

— رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

— بماذا يُعرفون .. وما وصفهم بين الأنام؟

— ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾.. وهم من خشيته مشفقون، يخافون ربهم ويفعلون مايؤمرون ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (**تنشد**) لمثل هذا فليعمل العاملون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

— ضيقت على عيشتى فلا يقدر على هذا إلا من جعل الموت بين عينيه

■(**ينشد**) :

الموت أهون مما قد أمرت به

فليس لى طاقة فى حمله أبدا

ظنى جميل بربى لا يخيبنى

لعل يجعلنى من جملة السعدا

— موتوا قبل أن تموتوا.. الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.. أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس

المغنواتية (تنشد):

موت النفوس حياة ثم يقظتها

من المنام لترقى رتبه السعدا

وتُؤت نورا به تمشى

وتَهدى إلى الأسنى

ويجعل لها ربها

من أمرها رشدا

■ **البطل** : أنت ياهذه مسرفة مدعية متطرفة فى كل شىء.. وليس فى طريق أهل الباطن دعوى ولا إسراف

■ **المغنواتى المطيباتى ينشد :**

خل الدعاوى ولا تجنح إلى الأهوى
نفوس أهل الهوى ماتت عن الدعوى
أهل الطريق دُعوا لم يدَّعو أبدا
وأخلصوا وارتقوا للغاية القصوى

■ **البطلة :**

(**فى تواضع وخوف**) وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء، والله يعلم المفسد من المصلح فإنه وحده الذى يعلم السر والنجوى.. فإنما الأعمال بالنيات، فإذا صحت النية صحت الدعوى.. والبينة على من ادعى غير ذلك

— هل لى زلة أعرف بها؟

— كثير من قليل.. من ذلك رضاك عن نفسك وتزكيتك لها ورؤيتك عملها مع معرفتك بعيبها.. وزهوك واختيالك وطلبك فى كل عمل تعمله مكافأة فورية وعمالة

— كيف أطرح عملى ولا أرجو عليه عمالة مع قوله تعالى : ﴿ لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾ وقال : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة ﴾

■ **المغنواتى المطيباتى يغنى وينشد :**

ورَدَ عمن أتانا بالرسالة
بأن لنا من الله لَعمالة
ويجزينا على الحسنة بعشرة
فكيف وقد خُلقنا من سلالة؟

■ **البطلة** : فهمت عن ربك أن عدم رؤية العمل مع شهود الله فيه لايبطل العمل وإنما يُبْطل العمل بالمن والأذى والعجب والكبر ورؤية نفسك فيه.. فقد تبين لهذا الاعتبار أنك ياهذا آلة فكيف تطلب لنفسك عمالة؟ وإن كنت خلقت من سلالة.. والله خلقكم وما تعملون.. فمن

لم يشهد المنـة الإلهية فى تلك الحالـة ولم ير سـوى نفسه ودلالـة فهو هالك لامحالة.

■ **المغنواتية (تنشد) :**

وجود العبد فى الأعمال آلة
أما يستحى أن يطلب عمالة
فمن لم يشهد المعنى ويُخلص
هلك بالمن والعُجب لا محالة

■ **البطل** : يا نفس .. العلم الكثير الذى فيـك خبلك وأنساك من أنا.. وأنى أكمل منك فإن نفعى متعـدى فى الـوجود، وأنـا الظـاهر المشهـود، وأمرى غير مـردود، وبيدى خزائن الجود وصـولجان السعود.. وأنت فى باطنى مغمورة وفى الخفاء مقبورة لا جـود لك ولا وجود.. جناتك وعود ، وخزائنك عهود.. وما أنت ياهذه إلا زنديقة مطرودة يُخاف على من تبعك من عـواقب الجحـود.. قـد جـادلتنى فأكثـرت جـدالى وأبطلت كثيرا من أعمالى وشتت حالى وهدمت منارى العالى.

■ **المغنواتى المطيباتى ينشد :**

هو الكامل له تاج الوجود
وأنت قد اختفيت عن الشهود
تماريه بزندقة وفضله
يُرى بالعين فياضا بجودى
وكل من اقتدى بك فهو غر
يُخاف عليه من نكث العهود

■ **البطـــلة** : نفعك المتعـدى هـذا من بعض جـودى ، وظـاهـرك المشهـود بعض وجـودى ، وإن كنت تُـرى بـالإبصـار فأنـا المشهـودة بالبصائر.. ولو كان الظاهر الموجود أكمل من الباطن المشهود كما تَدّعى لما اختُص البارى جل وعـلا بالاختفـاء عن الإبصار وهـو مع ذلك الرب المعبود.. وظنك أنى زنديقة فـذلك هو الظن السيىء بأهل الباطن ويُخاف

على من هذا حاله أن يهوى به الضلال فى مكان سحيق.. ولا أقول فيك إلا ماقال ربى.. بل ظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا.

■ **المغنواتية تنشد :**

وجودك فى الوجود ببعض جودى
وأنت تَرى وجودى فى الشهود
فلو كان الظهور به كمال
لكان الحق ظاهر للعبيد

— أمرنا يا شيخة أن نحكم بالظاهر وندع الغيب لله.. وأنا مؤمن موحد.

■ **المغنواتى المطيباتى (ينشد) :**

— لنا الظاهر به يُحكم علينا
ولله البواطن والسرائر.

■ **البطـــل :** وها أنا مؤمن قدر اجتهادى
وفيه كفايتى من ذى المخاطر

■ **البطـلة :** لكل حق حقيقة ياسيد فما حقيقة إيمانك؟.. وماذا يفيد جيدك مع تعظيمك لنفسك واتباعك لهواك؟

■ **صاحبتها (تغنى) :**

لكل حق حقيقة، فماذا تحت الغطاء أيها الساحر؟
وما حقيقة ما تقول إن كنت شاطر؟

■ **البطـل :** دليلى ما قال مولاى.. الحسنات يذهبن السيئات.. قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق

■ **البطـل :** إذا كان التنعم بالمباح.. فلا حرج على ولا جناح

■ **المطيباتى (ينشد):**

إذا كان التنعم بالمباح
فلا حرج عليه ولا جناح
وبالحسنات تذهب سيئات
كذلك جاء فى الكتب الصحاح

■ **البطـلة** : قد أومت الآيـة إلى الصواب ولكن لم تفهم يـافتاى سر الخطـاب والدليل قـوله تعـالى : ﴿ قل هى للـذين آمنوا فى الحيـاة الدنيـا خـالصة يـوم القيامـة ﴾.. أى للذيـن آمنوا الإيمان الكامـل أيها الغفلان فزهدوا فى المباح رغبة فيما عند الله.. الـوجه الثانى أن هذه الآية نزلت فى حق أناس كانوا يطوفـون بالبيت عراه ويُحرمون الطعام على أنفسـهم فى بعض الأيـام.. شريعة من عنـد أنفسهم ، والـوجه الثـالث أن الطيِّب من الرزق هو الحلال السالم.. والحلال السالم إذا كان لغير الله حرم.. مثال ذلك أن اللبـاس الحسن هـو مـن الحلال الســالم أصـــلا لكن إذا لبســه صاحب العُجب والرياء غدا حراما عليه بنيته الفاسدة.. وكذلك الطِيب إذا كان من الحلال المحض واستعمل للغواية حُرم لعلته لا لعينه.

— أنا لا ألبس عُجبا ولا رياء

— لا تزكوا أنفسكم

— إن الله جميل يحب الجمال وهو يحب أن يرى أثر نعمته على عبده

■ **البطـلة** : مافهمت المراد من الحديث ياصاحبى.. فإن الجمال على وجهين.. جمال ظاهـر وجمال باطن، مراد الحديث كـان الجمال الباطن.. وإلا قل لى بالله عليك هل رأيت أو سمعت أو قرأت أن نبيتـا عليه الصلاة والسلام كان يلبس مثل ثيابك ؟ وكيف يندبنا إذن إلى شىء ؟.. ولايفعله هو ولا أصحابه.. فلا هو ولا أصحـــابه أكلوا مثل ماتأكل ولا لبسوا مثل مـــاتلبس.. وكـان زمـانهم خيرا من زماننـا وأمـوالهم أحلّ من أمـوالنـا ونفـوسهم أزكى من نفـوسنـا.. وكانت عـوايـدهم عبـادات.. بينما نحن عباداتنا عـادات.. وهل نسيت الحديث: إن الله لاينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكـن ينظر إلى قلوبكم ونيـاتكم.. ومعنى ذلك أن البـاطن هو الأولى بـالجمال عنـد المؤمن لأنه محل نظـر الله.. وإذا كـان الله يحب أن يرى أثر نعمتـه على عبده ، فالنعمة المقصودة هنا هى الـزهد، ولا يقول بغير هذا إلا معـاند مجادل، وقد حـذرنا الله من هـذا المعنى الذى دار فى ذهنك حينما قال فى شـأن قـارون: فخرج على قـومه فى زينته قـال الذين يريـدون الحياة النيا ياليت لنـا مثل مأأوتى قارون أنـه لذو حظ عظيم..

فجعل زينتـه فتنة للنـاس.. وكـذلك شأن من خـرج على الناس فى زينـة مباحة فإنها تكون فتنة فى عين العاجز الذى لايجد.. فإنما تَسُن لنا سنة سيئـة فى ديننا وعليك وزرهـا ووزر من عمل بها إلى يـوم القيامـة. والله يكتب ماقدموا وآثارهم.

— قلبت الـدنيا على رأسى يـاشيخـة وقذفت بى فى نـار الجحيم فى مسائل خلافية لا رأس لها ولا ذيل.. أمِن أهـل الله أنت أم من الزبانية؟.. هل أنت إرهابية ياشيخة.

— أعــوذ بـالله السميع العليـم من كل شيطــان رجيم، أتبلغ عنى زبانيتك من الشرطة وتدعى أنى من الزبـانية وأنى إرهابية.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. لاحول ولا قوة إلا بالله.

— من أى بـاب فى الـدين تتحـدثين؟.. ومن أين أتيت بتلك الفتـاوى المرعبة؟

— هـذا يا صـاح باب ضنين.. اسمـه باب حسنـات الأبرار سيئـات المقربين وهـو باب تَرْك الحلال إتقاء للشبهـة.. وهو طبعا باب لاتعـرفه ومثلك لايدرى به

— وما هى الشبهة التى أخشاها من اللبس الحسن

— فتنة غيرك من المحرومين الذين لايجدون هدمه يلبسونها

— وما علىّ من غيرى.. وأنا مالى.. هم فى حالهم وأنا فى حالى

■ **المطيباتى** : وهو ماله.. هم فى حالهم.. وهو فى حاله (يغنى.. وأنا مالى وأنا مالى.. وأنا مالى وأنا مالى وأنا مالى)

■ **البطـلة** : الشفقة على خلق الله من رحمة الله.. إنما يـرحم الله من عباده الرحماء.. كن عونا لأخيك على نفسه ولا تكن عونا لنفسه عليه.

■ **البطل** : (**يخبط كفا بكف**) إذا كان الأمر كذلك ، فأكثر الناس هالك .. وآخرتنا كلنا فى اللى بالى بالك .. ضعنا والعوض على الله.

■ **المطيباتى** : ضيعتونـا معاكم.. غـرقتونـا فى الأصوليـة بتاعتكم والعوض على الله.

■ **المرأة :** عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم.. ورحم الله عبدا شغلته عيوبه عن عيوب الناس.

■ **المطيباتى :** تمام كلامك.. صح.. واحنا اخترنا أن ننشغل بامتيازاتنا وننفق أوقاتنا فى استثمار فلوسنا.

■ **البطل (مصادقا على كلام صاحبه) :**

تمام يا صاحبى .. تمام.. تمام .. ننشغل بامتيازاتنا

عليك نور.. وأنا اخترت الانشغال بسلطانى والتفرغ لهيلمانى عملا بنصيحة الأخت الفاضلة

■ **المرأة :** ما اخترت يا هذا إلا الندامة.. فكلما ارتفع هيلمانك فى الدنيا زادت أحمالك فى الآخرة وتراكمت ديونك أمام الديان فأهلكتك.

■ **المطيباتى :** أعوذ بالله من غضب الله.. دى بتطلع لنا فى كل معشوق خازوق.

■ **الرجل :** (**مازال يخبط كفا بكف**) كيف الحال فى الأمر العجيب.. وكيف خلاصنا من ذى الكروب.. ده أنت قفلت علينا كل أبواب الرحمة.. طيب الحل إيه والعمل إيه والفتوى إيه؟!.

■ **البطلة :** عش فى الدنيا كأنك غريب واعبرها كعابر سبيل.. وعُد نفسك فى الموتى.. إذا أمسيت لاتنتظر الصباح ، وإذا أصبحت لاتنتظر المساء.. وانظر إلى الدنيا نظرك إلى الميتة ، وأنت كالمضطر تأكل منها بقدر الكفاية لتسد جوعك وتستر عورتك.. عد نفسك أسيرا حتى يلقاك الله ويفك أسرك.

■ **المطيباتى :** يا ساتر يارب.. ده أنت تربستيها قوى.. مفيش عندك نسمة هوا.. ياحفيظ.. يالطيف.. يامغيث.

■ **(تنشد المطيباتية) :**

إذا رُمت النجاة من الكروب
ففى دنياك كن مثل الغريب
وكن فيها كمضطر أسير
ليأتى الرب بالفتح القريب

■ **البطل** : إذا فعلت هذا تذمني الناس ويقولون: هذا مجنون

■ **المطيباتى** : إذا فعل هذا يذمه الناس ويقولون : هو مجنون

■ **البطل** : إذا خالفت قومى عيرونى

ويرمونى بأنـواع الجنـون

وقدرى عندهم يغدو حقيرا

وأخشى بعد هذا يهجرونى

— الخلق يـا أيها المتعـوس.. لا يضرون و ينفعـون، وتـرك العمل لأجلهم شرك خفي.. وقـولهم.. إنك مجنون.. صـدقوا والله.. فالعـاقل من عقل عن الله وآثر آخرته على دنياه؟!

— يا رب .. الوليه دى جت لى منين.

■ **البطلة** : يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.

■ المطيباتى : دى دسيسة يا مولانـا السلطان.. دسيسة ونصائحها خسيسة .. دى cia .. مخابرات أمريكية إبليسية .

■ **البطلة (تنشد)** :

تخاف الناس تخشاهم وتنسى

إلها قال فى الذكر اتقونى

(والمطيباتية تنشد) :

وخوف الناس إشراك خفى

ترى هل فوق هذا من جنون

■ **البطل** : وطلعتينى مشرك كمان.. أنت حاتـودينى فى داهيه.. أنت دربكت لى مخى ولخبطت لى عقلى.. منك لله.. منك لله

أنـا بصراحة لا أفقـه كثيرا مما تقـولين ولا قدرة لى عليـه فأبق أنت.. على ماأنت عليـه.. وأبقى أنا على مـا أنا عليه حتـى يجمع الله بيننا ونقف بين يديه والأمر إليه يفعل ما يشاء ويحكم مايريد توكلنا عليه.

■ **البطل (ينشد)** :

طال الجدال.. ولم أفقه كلامك لى

لك عملك يا هذه وعملى لى

بينى وبينك حجاب لا نفاذ له
أمرى إلى الله ما لك فى الملام ولى

■ **والمطيباتى :**

ما شاء يفعل ويحكم ما يريد بنا
هو الكريم وفيه غاية الأمل

■ **البطلة :** اغترارك بالأجل واعتمادك عليه هـو الذى أوقعك فى حب العـاجل وانكبابك عليـه.. وذلك التسويف ليـوم تقف فيه بين يـديه هـو الحجـاب الكثيف الذى لامـزيد عليـه.. يـامسكين يامحروم.. بأى حجـة تحتج إذا أوقفنـا بين يـديه وقـال: لاتختصمـوا لدى وقـد قـدمت إليكم بالوعيد.. مايبدل القول لدى.. وما أنا بظلام للعبيد

— يـا الله .. يـا الله .. أين المهـرب والخلاص.. الخلاص.. الخلاص.. الخلاص يارب الخلاص.. من مندوبة الجحيم لامناص

■ **المطيباتى (ينشد) :**

الخلاص يا رب الخلاص .. من مندوبة الجحيم لامناص

■ **البطل :** تريد الخلاص ودخول الجنة ونعيم الأبد بتذكرة سينما.. أنت فاكر الجنة إيه .. ؟!!

— تعبتينى وهلكتينى ودوختينى

— الجنة مهرها كبير

— حاجيب مهـرها متين.. (**فى صوت خافت**) ماعنـديش عزم.. ماعنديش همه.. أنتى عارفه كل حاجة

— حاساعدك

— أنتى حاتجننينى

— خطوة خطوة

— مش قادر على أى خطوة من خطاويك الواسعة دى

— حاخد بإيدك

— حاتاخدى أجلى

— أنا قرينك وتوأمك ونفسك

— أنتى الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس

— غلبك شيطانك يا مسكين وغلبتك دنيتك وغرقتك بطانتك

— أنتى اللى بتوريني دايما صورتى وحشة فى مرايتك.. أنا مش كده.. أنا راجل صالح.. كل الناس بتقول على راجل صالح ومُختار من الله.. سامعه الهتاف اللى بره

يدوى الهتاف من الخارج - يحيا الخليفة العادل.. يحيا الخليفة.. ظل الله فى الأرض.. يحيا الخليفة المختار من الله.. خليفتنا مدى الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. يحيا الإمام العادل (يرقصون) ٩٩ فى المياه و ٩٩ من ميه فى الميه.. أغلبية.. أغلبية

— بيكدبوا عليك دول بيهتفوا بالأجرة.. الدنانير اللى بترشها عليهم.. أنا الوحيدة اللى بواجهك بالحقيقة.. اسمعنى.. طاوعنى

— أنتى مراية اليأس اللى واقفة ف طريقى.. أنا حاكسر مرايتك واتخلص منك.. (**يصيح**) يا حُجاب.. يا حُجّاب.. تعالوا شيلوا الست دى من هنا.. يا جُلّاس.. ياحراس (**يصرخ**) ياحراس

—وكمان حاتلم على العسكر.. وحايمسكونى ازاى وأنا مليش جسم.. ده أنا جسمى هو جسمك.. يعنى حايعتقلوا ضميرك يامسكين.. (تختفى ويبتلعها الظلام ويدخل عشرات العسكر ويجيء صوتها جهوريا يملأ المسرح والكل يتلفت.. باحثا من أين يأتى الصوت.. ينظرون فى السقف والجدران)

صوت المرأة مدويا — هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تسطع عليه صبرا.. والله يعلم المفسد من المصلح وما أبرىء نفسى، إذ كلنا تحت القهر وهو القاهر فوق عباده.. (تبوح بالسر) **ويبدأ المسرح يهتز بينما تعلو نبراتها شيئا فشيئا.**

طول الوقت يهتز المسرح ويميل ويقع العسكر على الأرض وعلى بعضهم البعض كأن هناك زلزال وتوشك الجدران أن تنهد حينما يأتى ذكر الساعة والقيامة

اعلم يـاهـذا إنك مسلّط على.. وأنـا مسلّطـة عليك.. ابتـلانى الله بك.. وابتلاك بى.. ليخرج بى مـاتكتم فى نفسك ويخرج بك ماأكتم فى نفسى.. ليخرج أضغـانك وأضغانى ويكشف مكنـونك ومكنونى.. ومـن أجل هذا أقام الدنيا وخلق الخلق.. خلقهم ليفضح مايخفـونه ويكشف مايكتمونه حتى لايعود لأحـد عذر ولا تبقى لأحد دعـوى.. وهو يعلم كل شىء من قبل.. ولكنهم يمارون ويكذبون ويـدلسون ويدعون.. والدنيـا هى قاعة امتحانهم وفضيحتهم..

■ **يصرخ :** — ومن أجل ماذا كل هذا العذاب؟

■ البطلة : تلك سنة الله فى الدنيـا منذ أن خلقها.. منذ آدم.. سلط الله إبليس على آدم.. وقـابيل على هـابيل.. وسلـط الكل على الكل.. منـذ بـدء التاريخ.. سلط الهكسوس على مصر والتتـار على الشام والهون والفندال على أوروبا والفرس على الروم والروم على الفـرس والمستعمرين الأقوياء على البـدائيين الضعفـاء.. وسلط الصليبيين على المسلمين والمسلمين على الصليبيين.. وسلط سيف هتلـر على اليهـود.. وأطلق اليهود على الـدنيـا تبلوها بالفتن والحروب

■ **يصرخ مولولا :** — ومن أجل ماذا كل هذا العذاب؟

— من أجل امتحـــان القلـوب واختبـار العـــزائم.. من أجل أن يُعلم الأشرار من الأخيـار وأهل المبـادىء من أهل المنـافع.. من أجل أن يتبين الأبطـال من الخونـة.. والـــرحماء من القتلـة.. والفضـلاء من الأراذل.. والصادقين من الكذبة.

■ **يعترض فى يأس :** — ألم يكن يعرفهم من البداية؟

— إنه يعرفهم.. ولكنهم هم عمـوا عن أنفسهم وظهر كل واحد منهم بغير حقيقتـه وأعلن غير نيتـه.. وادعى كل واحـد أنه بطل وأنـه فـاضل وإنه كريم.. ولذا لزمت الفضيحة.. ولزم كرباج الابتلاء

■ **يصرخ :** — ألم يسلم أحد من هذا البلاء ؟!!

— لم يسلم أحـد.. حتى أنبيـاؤه سلط عليهم الشيـاطين والمجـرمين والكفرة

— والذين اعتزلوا الدنيا ؟!!

— سلط عليهم الحر والبرد والجوع والغواية

■ **يصرخ مولولا :** — ومن أجل ماذا كل هذا العذاب يارب؟

— لامتحان المعادن.. وهل يعرف خبث المعادن إلا بالنار والانصهار والاختبار

— وأين الرحمة من كل هذا ؟

— كشف الحقيقة هى عين الرحمة.. ومعرفة الخبيث من الطيب هى عين الرحمة

■ **صوت شيخ مشايخ الصوفية يأتى من الخلفية جهوريا :**

— الأمر ليس دائما كما تقولون ياسادة.. فالبلاء يأتى أحيانا تشريفا للمبتلى ورفعا لدرجاته وتعلية لمنزلته.. وهو ليس دائما كرباج امتحان وإنما لمسه الحليم الودود الرؤوف المحب الذى يوزع النياشين والرتب على أهله وأحبائه.

■ **أصوات جمهرة الصوفية تهلل فى الخلفية :**

— الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. نعم البلاء بلاؤك يارب

■ **صوت شيخ المشايخ :**

— وإن ربنا ليناديـنا من عليائه طول الوقت.. أنا الحق لا أحمى الباطل ولا أستره ولا أتودد إلى الانذال ولا أترفق بالظلمة.. وأنا المحب لا أكف عن محبتى ولا أتوانى عن رحمتى ولا أحجب مودتى.

وأنا الحق ليس من أمرى بد ولا مهرب لأحد من بلائى ولطفى باطن فى بلائى ورحمتى سابقة لغضبى وعدلى لا يتخلف.

■ **الصوفية ينشدون فى الخلفية فى كورال وتنويعات صوتية :**

— الله أكبر عذبنا فنحن عبيدك

ونحن رهن اختيارك

ألقيت فى النار إبراهيم

فكانت النار بردا

وذاك بعض حنانك

■ **المنشدة صاحبة البطلة ترتل:**

وهكـــذا تجرى سنن الله فى الأرض.. سِلما وحَـربـــا.. حتى يأذن الله بانتهـــاء.. ونقول على الـــدنيا العفـــاء.. ولله الدوام والبقـــاء والعز والعـــلاء ونصرخ مستغيثين.. يـــاالله يا قيـــوم الأرض والسماء.. يا رحمن.. أغثنـــا.. أغثنا.. أغثنا أخطأنا فارحمنا وأذنبنا فاغفر لنا وأسأنا فاعف عنا.

■ **البطلة (فى نبرات منذرة) :**

وحينما تنزل بنا الطامة الكبرى وتقوم الســـاعة.. وتطوى الدنيا تُهتك الأستـــار وتُذاع الأسرار وتُعلن الصحف وتُقـــام الموازين ويُعـــاد تصنيف الخلق كل على حسب درجتـــه.. ويـــرتفع خلق كـــانـــوا فى القـــاع وينخفض خلق كـــانوا فى القمـــة فى ساعـــة خـــافضة رافعـــة تشيب لهولها الولـــدان.. وينـــادى المنـــادى.. لمن الملـــك اليـــوم؟.. وتجاوب السماوات والأرض وكل الخلائق.. لله الواحد القهار.. لله الواحد القهار

(**الصوت يأتى من كل جنبات المسرح**) لله الواحد القهار..

كـورال مجلجل من كل مكـان.. من السقف.. من الأرض.. ومن الجدران.. لله الواحد القهار.. لله الواحد القهار

ويهتف الملـــكوت والملأ الأعـــلى كله.. فى كلمات تتردد صداها فى الآفاق

(فى كورال نسائى رجالى)

(لا ظلم اليوم.. لا ظلم اليوم) ..

■ **البطلة :** — وهذا يـــا فتاى ختـــام قصتى وقصتك وختـــام قصة الدنيا كلهـــا ، فكن ياهذا على شـــاكلتك من الظهـــور.. وأنا على شاكلتى من الخفاء والستـــور فذلك تـــدبيره وقضاؤه وبـــذلك قضت أسماؤه.. فجعلك ظاهـــرا لتجلى اسمه الظاهر عليك وأســـدل على ستر خفائه فأصبحت من أهل الباطن لتجلى اسمه الباطن على.

وما من موجود إلا جاء بكلمته وتحلى بحليته واكتسى بأسمائه.

تخفت الأضواء تدريجيا على وجه البطل والعسكر

■ **صوت المرأة :** — به سبحانه تفتحت الورود وأشرقت الشموس ودار الفلك

من الظلام يخرج جماعة الصوفية الذين رأيناهم فى البداية من وسط ضباب المشهد فى إيقاع طبول رهيب.

ما زال صوت المرأة يدوى ولكنا لا نراها

■ **البطلة** : فما أضاءت شمس إلا بـاسمه النور وما أراد مـريد إلا باسمه المريد، وما أدرك عقل إلا باسمه العليم

يشترك الصـوفيـة فى الترتيل.. كل واحـد يـرتل فقـرة من هـذه التسابيح:

— وما نطق ناطق إلا باسمه المتكلم

— وما استمعت أذن إلا باسمه السميع

— وما أبصرت عين إلا باسمه البصير

— وما أبدع فنان إلا باسمه البديع

— وما انشق رحم إلا باسمه الرحيم

— وما جاءت حياة إلا باسمه المحيى

— وما نزل موت إلا باسمه المميت

— وما ظهر الظاهرون إلا باسمه الظاهر

— ولا استتر الأخفياء إلا باسمه الباطن

يرتل الصوفيون فى كورال مهيب:

خلق الخلق وما يعملون

وكلهم فى فلك يسبحون

بحكمة للذات تجرى بهم

أحكامها يعقلها العالمون

لا يُسأل عما يفعل .. وهم يسألون

يتكرر الإنشاد بنفس الكلمات فى طبقات مختلفة وهارمونى مع أصوات نسائية:

الله .. الله .. الله .. الله.. الله.. **ينشدون فى خشوع**

كبيرهم يقول ـ إذا تناهـت عقول العقلاء انتهت إلى الحيرة فما أدركوا الله وما عرفوا قدره.. فافهم.. وإلا سلم تسلم وقل:

كل يعمل على شاكلته كل إلينا راجعون
واعملوا على مكانتكم إنا عاملون.. وانتظروا إنا منتظرون
ولله غيب السموات والأرض إليه يرجع الأمر كله
الله . الله .. الله .. الله .. الله.. الله..

(ينشدون فى خشوع)

■ **الجميع فى كورس الختام أصوات سوبرانو وأصوات باس فى تكوينات هارمونى:**

هو الأول بلا أول قديم
هو الآخر بلا آخر مقيم
هو الظاهر بلا ظاهر خفى
هو الباطن بلا باطن عليم

■ **كبير الصوفيين يقول فى صوت مهيب :**

إنما أراد الله أن يُعَرِّف كل مخلوق على حقيقة مكانته وحقيقة شاكلته حتى لا يكون لأحد اعتراض على آخرته .. حرمانا أو مثوبة فافهم.. ونزه ووحد لا تشبه ولا تمثل ولا تعطل ولا تجسم .. ودع المظاهر والباديات وابحث عن الخواق الخافيات وقل الله .. وذرهم فى خوضهم يلعبون

■ **(كورال شامل) :**

الله .. الله .. الله .. الله .. الله
الله .. الله

وتسدل ستار الختام على كلمة .. الله .. طويلة مسترسلة.

هناك شيء مفقود في الوطن العربي.. الكل يسأل عنه ولا يجده..
العرب يحلمون براية وحدة.. وبوقفة كبرياء.

ولا نرى أثر لشيء من هذا في الواقع الثقيل الذي يجثم علينا

العائلة العربية تفرقت كالحملان التي أفزعتها الذئاب.. وضلت عن بعضها البعض فأصبح كل واحد يرى في أخيه ذئبا يوشك أن ينقض عليه.. ويرى في عشيرته عيونا وجواسيس تترصده.

ورأينا الشاه الشاردة التي تركت القطيع كله وهرولت لترتمي في حضن صيادها.. ورأينا الكاتب الذي يقول : إن إسرائيل هي الأمل والمستقبل وهو يراها تنهش في أرضنا.

وتواضعت الهمم وشحبت الأحلام ، فما عاد أحد يفكر في النضال ولافي البطولة ولا حتى في العمل الأمثل.. وإنما أصبح أكثرهم يكتفون بالممكن ويحصرون أحلامهم في الموجود.. وقد ارتضوا مرارة الواقع وتعودوا الغصة التي يتجرعونها مع أخبار كل صباح.. وأصبحت أمنيتهم الوحيدة هي الأمان من الإرهاب ونكباته.

والدين الذي كان يجمعهم.. أصبحت رموزه ترعبهم..!! واسمه يفزعهم وأصبح أمل معظم الحكومات هو توفير الخبز لشعوبها..

وهكذا لم يبق لنا إلا الممكن.. والكلام عن الممكن..!! والرضا بالممكن.. وشُغلنا بخبزنا عن كل شيء.

يخرج قرار من الكونجرس بأغلبية ساحقة بإقرار القدس عاصمة أبدية لاسرائيل.. فلا ينتفض الجسد العربى ولا يصدر عنه رد فعل مناسب يدل على أنه حى.. لا يثور.. ولا يصرخ.. ولا تجتمع الجامعة العربية لفورها لتقرر شيئا.. أى شىء.

يقول وزير خارجية إسرائيل.. لو اقتضى الأمر أن نحارب لنفرض السلام فسوف نحارب.. ما شاء الله.. يلوحون بالقوة لفرض السلام الذى يريدون.. يفرضونه على من؟!!.. لا أحد يرد من الدول العربية المعنية.. وكأنهم لا وجود لهم.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد.. وإنما تأتى الأنباء باتفاق عسكرى وعقود تسليح تعقدها إسرائيل أخيرا مع روسيا وبنود سرية نووية وغير نووية لانعلم عنها شيئا.. ثم أكثر من هذا نفاجأ برئيس وزراء إسرائيل يطالب أمريكا بمعاهدة دفاع مشترك لحماية أمن إسرائيل.. ثم نكتشف أن هناك تحالفا عسكريا بين إسرائيل وأريتريا.. وتشهد الساحة العربية هجوما فعليا تشنه أريتريا بطائرات إسرائيلية على الجزر اليمنية فى البحر الأحمر تستولى فيه على «جزيرة حنيش».

إنها تعبئة لقتال وليست مسالمة ولا مهادنة. ونحن نتداول فى التطبيع وفى فتح أسواقنا للسلع الإسرائيلية وفى تهدئة لغة الخطاب حتى لاندوس على طرف الأحباء الجدد.. شىء عجيب.

نحن نحلم بسلام السمن والعسل وهم يعقدون التحالفات لمزيد من السلاح ويتأهبون لصدام وشيك.

وماذا يجرى فى العالم حولنا... ؟!!

الصرب يقتلون خمسة عشر ألف أسير مسلم ويلقون بهم فى حفر ومقابر جماعية فى سربرنيتسا.. ومن قبل ذلك خمسين ألف حالة اغتصاب.. ومليون مطرود ومشرد.. وأكثر من ذلك فى الأوطان الاسلامية بطول وعرض آسيا وافريقيا.. ولا أثر.. ولا رد فعل يساوى تلك البشاعة.

وماذا تظنون العقاب الذى قررته الأمم المتحدة على السفاح كارادتش

والجزار ميلادتش اللـذين ارتكبا كل تلك البشاعات.. اسمعـوا واعجبوا.. لقـد حكمت المحكمـة بألا يتقلـد أحد منهما منصبـا كبيرا بعـد ذلك.. أى إحـالة إلى التقـاعـد.. مع معاش منـاسب.. وحتى ذلك التكـريم يرفضـه الصرب بكل صلف وكبر.

الظلم كاسر ومتبجح وغليظ.. والعدل يتيم ذليل مكسور الجناح..

والكل سـاهم شارد ينتظـر نـزول شيء من السماء.. صاعقـة مثل صـاعقة عـاد وثمـود أو طـوفان مثل طـوفـان نوح.. أو مطـر من نـار وحجـارة مثلما حدث مع قـوم لوط.. أو خسف أرضى يقبر الظلمـة كما حدث مع قارون.

المسلمون يدخنون الشيشـة فى المقاهى وينتظرون من الله أن يحارب لهم.

وهـو أمر مخجل.. ومغـالطـة حتى فى أمر دينهم.. فهم يعلمـون من قـرآنهم الذى يتلـونـه كل يـوم أن الله لا يغير ما بقـوم حتى يغيروا مـا بأنفسهم.. وأنهم مطـالبـون أولا بتغيير هـذه السلبيـة والهوان النفسى والخضـوع الذليل والتسول السياسى.. مطـالبون بنبذ الفرقة والانقسام والتشرذم.. مطـالبون بنبـذ الأحقاد الـداخلية التى تفـرقهم.. مطالبـون بـالتجمع فى عـائلة واحـدة وقيـادة واحدة وصف واحـد ، ليس لإعـلان الحرب ولكن ليُسمعوا العالم صوتا واحدا متحدا ووقفة واحدة متحدية.

الآلة العسكرية الاستعماريـة والمكر الصهيونى تحالف عليهم.. وراح يحصـدهـم حصـدا فى كل مكـان مـن العـالم.. البـوسنـة، الشيشـان طاجيكستان، أذربيجـان ،بورما، سيريلانكا، ليبيريـا، كشمير ،الصومال، جنوب السـودان، نيجيريا، فلسطين ، لبنـان.. وآخرهـا الهجوم الأريترى بطائرات إسرائيلية على الجزر اليمنية فى البحر الأحمر.. الرصاص ينطلق عليهم من كل مكان والدبابات تطـاردهم وتطحن عظامهم.. والرأى العام الاسلامى منقسم ومتراخ، والجبهـة الاسـلامية مترددة بين تطـرف أهوج أرعن وخضوع متهاون مساوم وإرهاب عميل مأجور.

والله يزلزلهم زلزالا بعد زلـزال ولا يفهمون الاشارة.. ولا ينتبهون إلى

الرمز الـذى يهزهم ليفيقوا.. ويلكزهم ليتحركـوا.. ويقول لهم.. انتبهوا.. قد لا يطلع عليكم غـد وقد لا ترون شمسـا بعد اليوم.. فـاتقوا الله فيما تعملون.

الأمة الاسلامية فيها أكثـر من ٤٠٪ من ثروات وكنوز العالم.. ذهب يورانيوم حديد نحاس منجنيز ألومنيوم زمرد فيروز لؤلؤ أحجار كريمة نفط غـاز طبيعى فحـم وأرض زراعيـة ومـيـاه وسيـول بـالهبل.. فـلا تستطيع أن تصنع من كل هـذا قـوة تنـافس بها الكبار.. وسنغـافـورة رائدة التقدم الاقتصـادى فى آسيا ليس فيهـا أى شىء من هذا حتى الماء تشتريه من ماليزيا.. ومع ذلك سبقت أمـريكا واليابان فى معدلات النمو.. لأنها أدركت كنـزها الحقيقى.. الانسـان.. اليد الماهـرة.. والعقل النشط.. والهمة الوثابة.. فانطلقت كالصاروخ.

أين الأمة الاسلامية من الكنوز التى ترقـد عليها والله قد حباها بكنز آخر أعظـم وأغلى هو كنـز العقيدة السليمـة والتوحيـد والمعرفـة الالـهية والتأييد الربانى.. أين نحن؟!! أين نحن!!

نحن مـوتى فى حـاجة إلى بعث ونيـام فى حـاجـة إلى يقظة وأشتـات متفرقة فى حاجة إلى قيادة.. وأيتـام فى حاجة إلى يد هادية وبطل ينفخ فى رمادنا ويشعل حماسنا.

وعلى هذا البطل أن يخرج من مخاض المعـاناة ونيران المطهـر ورحلة التعرف على الذات.

وربما كان مـا يجرى الآن هى مقدمـات دمويـة لذلك الخروج وتلك الصحوة.

لقـد وصلنـا إلى آخـر الشـوط.. نكـون أو لا نكـون.. نفنى أو نُثبت صلاحيتنا ونؤكد وجودنا.

وقد بلغنا الحائط ودخلنا فى المعركة النهائية مع النفس.

لقد انطلقت الجماعات الاسـلامية من بدايات خاطئـة تماما وما زالت مصرة عليها.. وهى محاولة القفـز على السلطة واغتصاب الحكم.. وظنت أن الجهـاد يبدأ مـن الجهاد مع الآخـر والصراع مع الآخـر.. ونسيت أن

الجهـاد يبدأ فى الحقيقـة بالجهـاد مع النفس والصراع مع العدو القـابع داخل النفس.. إبليس الأنانية والتعصب وشيطـان الطمع والأثرة وجنون الزعـامة الفارغة.. نسيت أن الاسـلام بدا بثلاث عشرة سنـة من التربية النفسيـة فى مدرسـة النبوة حيث تـدرب الصحـابة الأكـابر على الجهـاد الأكبر مع النفس.. ولم يأذن الله بالقتال مع أعداء الخارج إلابعد أن نجح ذلك الجهـاد الأكبر فى تطهير نفوس الصحـابـة وخلق ذلك الجيل العظيم من الأبطـال الذى يصلـح لتسلم زمام القيـادة.. هـؤلاء الأكابـر الـذين تحولوا إلى نجوم هادية تجسد الفضيلة والنبل ومكارم الخلق.

ولكن الجماعـات الاسـلامية فى زمـاننـا نسيت هـذا الدرس وبـدأت بإعلان الحرب على الآخـرين وبصناعـة الانقلابات للـوصول إلى الحكم وبلوغ الكرسى.

ووجدت الصهيـونية الـذكية فـرصتها فـاستأجرت أنقـارا لها فى كل مكـان تفجر القنـابل وتنشر الرعب وتـرفع راية الاسـلام لتشوه اسمـه وتلطخ صورته وتنتـزعه من جذوره.. ولتضرب المسلمين بعضهم ببعض ولتحرض الحكـومات على رمـوز التدين.. ولتضع الاسـلام كله فى قفص الاتهام تمهيدا لتصفيته.

وفى الحالات القليلـة التى وصلت فيهـا الجماعـات الاسـلاميـة إلى الحكم مثل السودان وأفغانستان.. كانت النتائج مخيبة للآمال.

ولقد رأينـا فى أفغانستـان ما فعل حكمتيـار وربانـى وسياف حينما تسلموا السلطة وكيف استطاعت المخابـرات الأمريكية والأموال الأمريكية أن تصطـادهم وتسلطهم بعضـهم على بعض.. وكيف حـولـوا بلـدهم إلى خراب ودمار ومزرعة ألغام.

لقـد انتصروا فى حربهم على الـروس الكفـار ولكنهم لم ينتصروا على نفوسـهم فلم يصلوا إلى شىء.

إنهم لم يكونوا أبطالا.. بل كانوا مجرد مغامرين وطلاب مناصب.

وفى السودان فتحت الحكومـة الإسلامية الباب للجماعـات الإجرامية لتدير عشرات المعسكرات للتدريب على الإرهاب.

وهذه هى مأساة المسلمين فى زماننا.

إنهم يمارسون البطولة بلا بطولة ويطلبون الزعامة بدون شهادة لياقة ويباشرون الإجرام على أنه إسلام وفداء ووطنية.

إنهم هم أنفسهم فى حاجة إلى إصلاح لنفوسهم أولا وفى حاجة إلى الانقلاب على نفوسهم قبل أن ينقلبوا على الآخرين.

ولو كانوا على الحق لما أمكن الله منهم.. فلقد عهدنا الله ناصرا لأوليائه وناصرا لحملة لواء الحق أينما كانوا.. يقول القرآن فى ذلك:

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن له دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾ لهم

فهذا هو وعد الله الثابت للصالحين من عباده.. فهو لا يخذلهم ولا يسلمهم.

وحينما هُزم المسلمون فى غزوة أحد قال لنا الله ان العيب فيهم، فقد حاربت الفئة الضالة منهم للغنائم وليس لوجه الحق.

إنها دروس نفهم منها سنن الله فى الأرض ونعرف منها من هم الذين ينصرهم الله ويؤيدهم، ومن هم الذين يخذلهم ويتخلى عنهم.

وأعتقد أن المحن الهائلة التى مر بها المسلمون فى زماننا كانت تربية دموية وتطهيرا دمويا وتنويرا وتعليما من الله لمرحلة سوف تأتى فيما بعد يظهر فيها القادة بحق الذين أنضجتهم المحن وأنضجتهم التربية الإلهية.

إن الله يُعدُّنا لشىء.

ولا شك أن السلام الصورى الذى يجرى على الأرض العربية والتسلح الهائل الذى يجرى من طرف واحد على الجانب الإسرائيلى والمساندة الأمريكية للظلم الإسرائيلى ونهب الأرض الفلسطينية واغتصاب القدس وعقد التحالفات مع هذا وذاك تمهيدا لحصار المنطقة العربية.. كل هذا سوف يؤدى إلى اختلال الميزان وإلى تفاقم الظلم وإلى صدام لا مفر منه فالخمسة ملايين إسرائيلى لن يستطيعوا تثبيت

سلطـانهم فى المائة مليـون عـربى إلا بإضعـاف البنيـة العـربيـة كلهـا وتـهديمها وتمزيقها بالفتن.. ومثل هـذا الملك الذى سوف يقوم على الفتن وعلى الظلم وعلى الارهاب لا يمكن أن يدوم.. ولا يمكـن أن تظل السياسـة العالمية مساندة لهذا الجبروت.. ولا أن يدوم العلو لأمريكا.

سـوف تتبدل الكـراسى إذن.. وسوف تتغير المواقف.. وسـوف تأتى اللحظة التـى تصبح فيها تصفيـة الآلة العسكـرية الصهيـونية ضرورة مطلقة لسـلام العالم.. وحينـذاك يأتى التـوقيت الذى أعـده الله فى غيبه المكنون لبروز تلك البطولات من محضن البلاء.

إنهم الآن فى الغيب فى مسبك البـلاء الـربانـى الذى تعـاد فيـه سبك النفوس لتبلغ مستوى البطولة المطلوبة.

إن بللورة الماس لا تقطعها إلا سكين أشـد منها صلابة.. والبـلاء هو المصنع الالهى الذى يصنع تلك النفوس الأشد صلابة من الماس والأشد قطعا من شفرة الصلب.

والله هو صانع التـاريخ وصانع البشر وصانع الظـروف.. وهو الذى يختار التوقيت الذى يعمل فيه أبطاله.. والمسرح الذى سوف يتصارعون عليه.

إن الصهيونية الآن تكـاد تنفرد بالعالم لأنها قـد آوت إلى ركن شديد هو القوة الأمـريكية التى لا تقهر.. ولابد أن ينهـار ذلك الركن كما انهار الـركن السـوفيتى.. أو يحدث مـا يـؤدى إلى تبـدل المواقف وافتضـاح الصهيونية ومكرها الشرير بالعالم فينقلب عليها حلفاؤها ويختل الميزان وتأتى اللحظة المواتية لظهور البطل.

والبطل لا يعمل وحده.. وهو لا يستطيع أن يغير شيئا إلا إذا آتاه الله الأسباب وهيأ له الظروف واختار الوقت.

متى تتبدل الأحوال ويستدير الزمان دورة كاملة كما بدأ..؟؟

اليهود يقـولون بعـد ألف عام من ملك إسرائيـل السعيد.. أو ربما فى العالم الآخر.. يقولون هذا.. مستهزئين.

ولكنى أعتقد أنه سـوف يظهر من يهدم ملك إسرائيل قبل أن تنسدل

الستار على السنة الألفين وفى أقل من خمس سنوات من الآن.. هكذا تقول التوراة.. وهكذا تقول الرؤى الانجيلية.. وهكذا تقول الأحاديث النبوية.. وهكذا تأتى الاشارات فى القرآن عن علو إسرائيل وعن نهايتها ودمارها.. يقول ربنا فى سورة الاسراء مخاطبا اليهود يمن عليهم ما كان من نجدته لهم بعد هزائمهم المتكررة:

﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم (على الذين غلبوكم) وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا (وهو ما نراه اليوم من علو نفيرهم وكثرة أموالهم وأعدادهم) إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها.. فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾ (والكلام عن المسلمين الذين سوف يدخلون القدس للمرة الثانية ويدمرون ما رفع اليهود من بناء وما أقاموا من هياكل)

ذلك وعد الله.. وهو وعد غير مكذوب.. وما دام القرآن جاء بهذا الوعد.. فلابد أن الله سوف يهيىء له ظروفه.

إن المذابح التى تجرى فى الأقطار الاسلامية على امتداد المسرح الجغرافى بآسيا وأوربا وافريقيا لن تقتل الاسلام بل سوف توقظه ولن تبيد المسلمين فهم فى حصن من الإبادة بكثرة توالدهم.

وعذاب الدنيا للمسلم هو البعث والمطهر والميلاد.

ولن تقضى على الإسلام حضانة الصهيونية للإرهاب ولا تأليبهم للعالم على المسلمين ولا مكرهم ولا تآمرهم.. إنما هو ليل.. ولكل ليل فجر.. ولكل بلاء نهاية.. إنما هى تحولات الليل والنهار.

ليس هذا مجرد حلم.. ولكنه إيمان ويقين.

وليس مقالا صحفيا للاستهلاك.. وإنما كلمات حق أنزلها الخالق الذى خلق الدنيا بما فيها.

٣ وكـر الثعـابين

المشكلة الحقيقية فى التعامل مع إسرائيل أن مبدأ المذابح والمجازر والإبادة واستعباد غير اليهود وتسخيرهم واستغلالهم.. هو أصل ثابت من أصول الشريعة التوراتية التى يتعلمها اليهود كلهم منذ الصغر ويتلونها كل يوم فى مدارسهم وبيوتهم ويؤمنون بها إيمانا أعمى.. وعلى هذا الإيمان أقاموا دولتهم.

يقول لهم الرب:

كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان ، من الفرات إلى النيل تكون تخومكم.

وقد اختاركم الرب لتكونوا شعبا خاصا فوق جميع الشعوب التى على وجه الأرض.

وأباحت لهم التوراة دماء جميع الأمم.. تقول كلمات التوراة:

حين تذهب إلى مدينة لكى تحاربها استدعها للصلح فإن أجابتك وفتحت لك أبوابها فكل الشعب الذى تجده فيها يكون عبيدا لك تسخره فى خدمتك.. فإن حاربتك ودفعها الرب إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف واجعل من نسائها وأطفالها وبهائمها غنيمتك.

ولكن الرب يعود فيندم على هذا التساهل فيقول فى مكان آخر:

أما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تترك منها نسمة حية.

وفى سفر يشوع: إذا استمر هؤلاء فى القتال فعليك بإبادتهم.

هـذا هو بـروتوكـول التعـامل مع غير اليهود فى التـوراة الرسميـة.. ولا نذكـر التلمود ولا بـروتوكولات آل صـهيـون بما فيها من بشـاعات وشناعات.

وقـد رأينـا عينات من هـؤلاء الأبطـال الـذين يمجدونهم ويـوقـدون لقبورهم الشمـوع.. باروخ جولـد شتين سفاح الحرم الإبـراهيمى الذى قتـل أربعين من المصـلين وهم راكعون.. وإيجال عامير الذى قتل رابين.

وصـور بـاروخ جـولـد شتين الآن تملأ متـاجـر ومحلات وبيـوت إسرائيل بمثل ما تملأ بيوتنا صور عبدالوهاب وعبد الحليم.

وهؤلاء هم نجومهم الذين يجسدون أحلامهم.

هذه هى إسرائيل التـوراة.. وهذا هو شعبها الـذى تجمع فى صـهيون يحمل التوراة فى يد والبندقية فى اليد الأخرى.

وفى هـذا الإطـار يجب أن نفهم إسرائيـل والسـلام الصـورى الـذى تطرحه علينا والسوق الشرق أوسطيـة التى تستدرجنا إليها.. ولن يكون سـلامها فى أحسن الفـروض إلا استراتيجية مـرحلة.. إن لم يكن كمينـا وحقل ألغام.

ولأنهم يضمرون كل هـذا الغل وكل هذا الحقد الدمـوى كان لابد أن يبدأوا بالشوشرة علينا بترويج بضاعـة الإرهاب الإسلامى الذى صنعوه ومولـوه واستأجـروا له عصابـات المافيا المحترفـة التى ترفـع شعارات الإسلام.. ليتهموا إسـلامنا بما وصمت به توراتهم.

وقد رأينا جميعا ذلك الإرهاب المستأجر والممول من الخارج بملايين الدولارات ورأينـا القنابل المستـوردة والصواريخ المستـوردة.. ووضعت أجهـزة الأمن أيـديها على تـرسـانات السـلاح المستـوردة.. إنـه إرهـاب مصنوع والأيدى التى تباشره أيد عميلة مشتراة.

وهذه هى المشكلـة.. إننا لا نتعـامل مع ناس عـاديين.. وإنما نتعامل مع غابات وأدغال.. لا يمكن أن نطمئن فيها على أى خطوة.

ومنظمة حماس وغيرهـا من منظمات العنف هى نتيجـة منطقية لهذا

النهج الإسرائيلى فى التعـامل.. فما كان لتلك الـدمويـة إلا أن تلد دمـوية أعنف منها.

إن رابين كـان إرهابيـا وقـاتلا محترفـا ومع ذلك لم يعجبهم.. لأنـه لم يكن إرهابيا بما يكفى ولا قاتلا بما يكفى ولا حاقدا بما يكفى.

وهذه هى إسرائيل التى نتفاوض معها.. فكيف نتفاوض معها بحسن نية؟

ومن مفارقات هذا الزمان أنها استقطبت العالم كله لخدمة أهدافها.

ولم يطاوعهـا العالم عن سذاجـة ولكن عن مصالح زينتهـا له.. فهى ستكون الحارسـة على مصالحه واستثماراته والـوصية على احتياجـاته من النفط المخزون فى أراضينـا.. والقائمـة على تفتيت دول المنطقة حتى لا تقوم لها قائمة وحتى تظل تركة مستباحة للمستعمر الجديد (أمريكا وحلفائها) وضامنة للتبعية الاقتصادية لتلك القافلة إلى ما شاء الله.

هذه هى الصفقة.

ونحن الصفقة.

وهى صفقة مصالح متبادلة بين على بابا الذى يضع طاقية الحاخام على رأسـه وبين الأربعين حـرامـى من دول الغـرب ذوات الأطماع التى لا تشبع.

وحكامنا يعلمون مخاطر اللعبة.

وملـوك المنطقـة يعلمـون كل شىء.. ولكـن هـامش الحركـة المتـاح لأى منهم محدود.. وخياراتهم محدودة.

والذين هـرولوا كان الواحـد منهم ينظر إلى مساحـة عمره فقط وإلى أيـامه البـاقية المعـدودة يريـد أن يعيشـها فى أمـان.. وليحدث بعـد ذلك ما يحدث.. ولكنه لن يجد حتى ذلـك الأمان.. لسبب بسيط.. أن الأحداث تهرول بأسرع منـه.. والمتغيرات تلهث.. وسـوف يدفع ثمـن هرولتـه فى حياته.

إن البوتقة التاريخيـة تغلى بما ألقى فيها من خطط سريعة الاشتعال وسوف يصل التفـاعل بينها إلى ذروتـه قبل الوقت الـذى حسبته جميع

الأطراف ليؤدى إلى عكس الأهداف التى قدروها.. وذلك لأن الله هو الذى يصنع التاريخ وليس الحاخامات.. لأن القدس قدسه والكعبة كعبته والأديان أديانه.

والمشكلة أن إسرائيل وهى الدولة الصغيرة التى عاشت وأعاشتنا معها على وهم أنها الجماعة الضعيفة المضطهدة المهضومة الحقوق المعتدى عليها.. كانت طول الوقت تحاول أن تغتصب عطف العالم واهتمامه ثم ثرواته ثم سياساته ثم زين لها شيطانها أن تدير حكوماته بشبكة تحتية من المستشارين الماسون الذين دفعت بهم فى غفلة من الزمان إلى كراسى صنع القرار فى كل حكومة.. وسلحتهم بكل أساليب المال والغواية والتهديد.

ألف سنة من التنظيم الدؤوب والتخطيط الصهيونى الماكر لتصعد فيها ذلك المرتقى الصعب وتبلغ ذلك العلو المشهود وتصل إلى هذا الصلف السيادى.

ولكنه علو مفتعل بسيقان الآخرين.

وارتفاع كاذب على أكتاف أمريكية وأرجل أوروبية.. وفى خلسة من انقسام عربى وفراغ دينى وتمزق إقليمى.

ولن تدوم تلك الأكذوبة لأنها تمشى بيننا بلا أرجل.. وتعلو على العالم بلا منطق.

والعالم يوشك أن يصحو بعد سكرة طويلة على الأفعى الصغيرة الضعيفة المضطهدة التى رباها فى حجره ليفاجأ بها وقد تحولت إلى تنين يلدغ.

والشركاء الذين جمعهم الطمع سوف يفرقهم الطمع.

والحكاية الطويلة التى استمرت ألف سنة توشك أن تبلغ نهايتها.

فأنت تستطيع أن تخدع بعض الناس بعض الوقت.. ولكنك لا تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت.

وكل ما يبنيه الطمع لابد أن ينهار لأن فيه جرثومة فنائه.

ومن عجب أننا نرى أمامنا هذه الأيام مفارقة عجيبة.

أن دول أوربا وأمريكا التى تدفعنا دفعا إلى تسريع المصالحة مع إسرائيل (رغم التهديد النووى الإسرائيلى على حدودنا ورغم إصرار إسرائيل على استمراره) نفس تلك الدول نراها تحاول جاهدة لتعرقل أى مساع للصلح بيننا نحن العرب وأى محاولة لرأب الصدع مع صدام العراق.. ونرى ريفكند من بريطانيا وبلليترو من أمريكا يحذران بشدة من خطر « صدام » إذا تمت أى تسوية معه وإذا خففت عنه العقوبات.. فهو ثعبان سوف يسعى إلى التسلح من جديد وإلى تهديد جيرانه العرب.

عجبا يا سادة..؟!!

ومن سلح صدام من قبل ومن دفعه على إيران ومن أغراه بالهجوم على الكويت.. ومن أى دول أتى بأسلحته التى هجم بها على الكويت.. أليس من بريطانيا وفرنسا وأمريكا..؟

ويطلع علينا من ينكر مبدأ التآمر وينكر تفسيرنا لما يجرى حولنا بالتآمر ويعيب علينا هذا التفكير التآمرى البدائى.

وماذا نسمى إذن ما يفعله ريفكندُ وبلليترو اليوم وما فعله جى موليه ومستر إيدن فى مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ الذى اشتركت فيه طائرات وجيوش وبوارج انجلترا وفرنسا وإسرائيل.

ومن أيقظ الفتنة الطائفية فى لبنان وأمدها بالسلاح وبالقنابل وبالصواريخ وبالأموال طوال ست عشرة سنة فى حرب أهلية أتت على الأخضر واليابس؟.. وماذا كان المشهد الختامى لهذه الحرب؟.. فرنسا تمد يدها فجأة لإنقاذ عميلها المهزوم مارشال عون فتؤوية فى سفارتها فى بيروت ثم ترسل غواصة فرنسية لالتقاطه مع الذهب الذى هرب به لتعود به إلى فرنسا.. إن الحرب اللبنانية الأهلية.. لم تكن مجرد فتنة داخلية إذن..!! وإنما صنعتها أيد أجنبية تقول.. هأنذا.

وحرب ٦٧ حينما تحرك عبدالناصر ليقوم بضربة دفاعية فى آخر لحظة فأمسكت روسيا وأمريكا بيده وقالوا له فى مكالمة تليفونية قبل الفجر.. لا تبدأ بأى ضربة من ناحيتك.. وكانت الضربة الإسرائيلية الأولى

التى أصابت طيراننا فى مقتل.. أكان ذلك النصح الروسى الأمريكى نصحا أخويا أم تآمرا؟

ومذابح المسلمين فى البوسنة التى تمت تحت أعين الدول الأوربية على امتداد ثلاث سنوات والسلاح يتدفق على الصرب من كل مكان.. والمسلمون محظور عليهم أى قطعة سلاح ومحظور عليهم الدفاع عن أنفسهم بقرار رسمى معلن من الدول الأوربية راعية حقوق الانسان.. أكان هذا تناصحا أخويا.. أم تآمرا وضيعا؟!!

يا سادة.. إننا نعيش فى وكر ثعابين.

وعيبنا أننا نحتضن تلك الثعابين ونلهو معها بحسن نية.

وأقول لكل الأخوة العرب والمسئولين منا: لقد آن الأوان لنفيق.. ونتعامل بالمثل مع هؤلاء الناس.

وأقول ان الدور علينا فى المرة القادمة.

الدور جاء علينا لندخل المفرمة التى أدخلوا فيها البوسنة.

والوحدة العربية أصبحت هى الحائط الأخير الذى نلجأ إليه.

وظهرنا جميعا إلى الحائط.

ولا يهم أن يتفق كل العرب وإنما يهم أن يتفق ثلاثة.

مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية.. فهم الواجهة.. وهم شركاء المصير.. وهم الصدر.. الذى سوف تتجه إليه جميع الحراب.

ولا يوجد أمامهم خيار آخر.

انفجـار باكسـتان

الإرهاب الآن صنـع له حكـومة تحتيـة وبنية أسـاسية تحت الأرض وأصبح له حكـام سفليون يتلقـون التمويل والـدعم من دول ومخابرات إبليسية فـوق الأرض.. ولا علاقة لما يحدث بـالإسلام.. وإنما هى مـافيا ترتزق وتقبض أجـورها بالدولار لتشويـه صورة الإسلام والمسلمين فى كل مكان.

ويسـاعدهـا عصر مّادى لا دينـى لا أخلاقى.. طبيعتـه العنف فى كل شىء.. العنف فى السينما.. العنف فى الـرقص.. العنف فى الغنـاء.. العنف فى الخصومة.. العنف فى السياسة.. العنف فى الحروب.

وما حدث أخيرا فى انفجار باكستان لا يخرج عن ذلك.

سيناء تتحـول بالتدريج لتصبح مسرحا لأكبر جـذب سياحى فى العـالم وفنادقهـا المتلئـة باستمـرار تقـول هذا.. وعمليـة البناء وإنشاء القـرى السياحيـة وهى عملية متـواصلة لم تستطع إلى الآن أن تستـوعـب التـدفق السيـاحـى من شـواطىء الأدريـاتيكى ومن داخل أوروبا.. وجميع الغرف محجوزة منذ شهـور وكذلك كل مقاعد الطائرات من وإلى سينـاء.. وأسماء مثل دهـب ونـويبـع وشرم الشيخ وسـانت كـاترين والغـردقة والسخنـة تحولت إلى فصـوص متناثـرة من الزمـرد والماس تلمع بالأنوار على صحراء سيناء وفى أحضان جبالها.

وقد عشت أياما سعيدة فى أحد هـذه الفنادق وادهشنى عدد الطلاينة والألمان الذين يمـلأون أكثر الغرف.. ويتسامرون ويضحكـون ويأكلون ويشربون فى مرح مع باقى النزلاء كأنهم أسرة واحدة.

وفى آخـر أيام إقـامتى لاحظت أن أكثر العـاملين فى الفندق يأخـذون أجـازاتهم وحينما سألت عن السبب قـالـوا إن الفندق من ٢٧ أكتـوبـر محجـوز أكثـره لأفـواج إسرائيليـة.. قلت للعـامل: ومـاذا فى ذلك؟ قـال العـامل: إنك لاتعلـم كيف يعـاملنـا الإسرائيليـون.. إنهم يكلمـوننـا فى عجرفـةويتصرفون كأنهم أصحـاب الأرض وأصحاب المكان.. ويقـولون إن السادات قد اختلس منهم أرضـا هى حقهم وأنهم لابد عائدون.. وهم يختلقـون لنا المشـاكل ويفتعلون الصـدام ويجأرون بالشكـوى بسبب

وبدون سيب.. ولهذا نفضل أن نأخذ أجازاتنا فى هذا الوقت من الموسم السياحى تفاديا للمتاعب.

وهى عينة مصغرة لما سوف يفعله التطبيع فى مجتمعنا المصرى وفى المجتمع العربى على اتساعه.. وما سوف يؤدى إليه فتح الباب على مصراعيه لهذه العداوة التاريخية.. والأطماع التوراتية التى تملأ وجدان الإسرائيلى الذى شحنته الصهيونية بهذا العطش الأزلى نحو التملك والسيطرة.

ولقد رأينا جميعا ما فعلته رأس الحربة الإسرائيلية حينما اخترقت مجتمعاتنا العربية بعد كامب ديفيد باسم السلام.. وكيف أنها عزلت مصر ثم قسمت العرب إلى جبهات متناحرة مع السلام وضده وحولت الأسرة العربية إلى جيوب يناصب بعضها بعضا العداء.. وكيف أن شوكة صدام قد نمت وترعرعت فى هذا الحقد ، وكانت الثمرة هى حرب الخليج واغتصاب الكويت.

فى أى صف وقفت حكومة الأردن ومعها الفلسطينيون ساعتها؟!

إنها أخذت صف صدام فى حربه ضد الكويت والسعودية وضد باقى العرب

واليوم نجد إسرائيل تستفيد مما حدث وتتصرف بمكر دبلوماسى شديد، فتحتضن الأردن وتفتح الباب لصلح فلسطينى وتدفع أعوانها فى أوروبا ليمدوا الأيدى بخمسمائة مليون دولار للأخوة الفلسطينيين ليبنوا مؤسساتهم.

إنها تجهزهم ليكونوا الحليف المضمون الأكثر ولاء وليكونوا عندما يجد الجد رأس حربتها فى المواجهة الكبرى المحتملة مع باقى الإخوة العرب.. قد تخطىء حساباتها.. ولكن من يدرى؟

ألم يقف الملك حسين وياسر عرفات ضد السعودية وناصرا معا العدوان العراقى ضد الحق العربى.. وغلبت أطماعهما الشخصية على مشاعر العروبة ومشاعر العائلة..؟!

إن إسرائيل ترى ببصيرتها السياسية.. أن هذا الضعف النفسى

يمكن أن يتكـرر.. وأنها يمكن أن تنميـه وتغـذيـه بـالآمـال والأحـلام.. ولا مانع مـن أن تكون الأحلام كـاذبة..فـالزجـاج يخدع أحيانـا ويبدو كالماس.. والأطماع تعمى العيون.. ولا مانع من المحاولة.

وبعد مأسـاة حرب الخليج.. ما أسهـل أن يوضـع العرب فى مـواجهة مع بعضهم البعض.. وما أسهل أن تغلب العـداوة بينهم على العداوة مع الأجنبى.

إن اتفـاق دمشـق لم ينجح إلى الآن لأن الإخـوة العـرب وجـدوا أن الحليف الأمـريكى أكثر أمنا لهم مـن الحليف العربى.. إحسـاس كاذب.. ولكنهم وقعوا فيه.

والملك حسين.. فى منـاورة ذكية فتح أبـواب الأردن للمنشق العـراقى الهارب زوج بنت صـدام ونظم لـه المؤتمرات الصحفية ليعلن السقـوط الوشيك لعصابـة صدام.. فى إشارة ماكرة إلى أمريكـا بأنه يخطط لعراق جديـد بدون صـدام وثلاثى جـديد من العـراق والأردن وفلسطين أكثر تناغما وانسـجاما مع إسرائيل ومشروع السلام الأمريكى المرتقب.

ومعنى ذلك.. مزيـد من العزل لأى جبهات معـارضة يمكن أن تخرج من مصر والسعوديـة وسوريا.. وتطـويع للسياسـات العـربية لإسرائيل أكثر وأكثر.

إننـا نتفكك أكثـر وأكثـر ونتحـول إلى تكتلات وانقسـامـات ومـزق وشراذم تتعارك ولا تجتمع على شىء.

وإسرائيل تعـرف كل نقاط الضعف فى أسرتنـا العربيـة.. وهـى تلعب عليها بذكـاء.. وسوف يكون التطبيع فاتحة كارثـة للمنطقة وليس فاتحة خير أبدا.

ولن تعدم إسرائيل الأعـوان ولن تعدم العملاء فى هـذا العصر المنكود من خراب الـذمم .. بل إن عملاءها يـروجون لها فى صحافتنـا من اليوم ويدبجون المقالات عن عصر السمن والعسل القادم مع الحبيبة إسرائيل.

إن التطبيع فى غيـاب الإخلاص وفى غيـاب مشاعـر العائلـة وفى غلبة الأحقاد والأطماع الموجـودة فى أطراف إسرائيلية وأمـريكية بل وعـربية..

هـو حقل ألغـام نستدرج إليـه.. وليس مـائدة سمن وعسل كما تـدعى إسرائيل وعملاؤهـا.. إن كل طرف جـالس على المائدة يضع يده فى جيب الآخر.

قـد عقد الســادات اتفاق الســلام ولكنه لم يمض فى التطبيع خطـوة واحدة إلى الأمام ، ولم تكن الألغام قـد زرعت فى أراضينا وفى عقولنا بهذا العدد وبهذه الكثرة.. ولا كـانت هناك ترسانة نوويـة إسرائيلية مستعدة لإطلاق صواريخها على حدودنا.

إن الحذر واجب.. ولا داعى للعجلــة.. فــالظـروف ســوف تتغير.. وأمريكـا لن تظل قطبـا وحيدا منفـردا بالعالم.. فـالصين سوف تـدخل الحلبة.. والقطبيـة الأمريكيـة سوف تتراجع.. وسـوف تتبدل التـوازنات العالمية إلى الأفضل.

ومصر تنمو وتـزدهر.. وتتسـارع فيها معـدلات التنمية وتتضـاعف الاستثمارات وتـزداد مـداخيل السيـاحـة وكشـوف البترول والغـاز الطبيعى.. وقد حققنا كل هذا بـدون تطبيع. وبدون دخول فى هذا الحقل المشتعل بـالألغام وبدون تـورط فى أوحال هـذا التجمع الشرق أوسطى.. قمنـا بهيكلة الاقتصـاد وعـالجنا التضخم وأصلحنـا العجـز فى ميزانننـا التجارى وأنشأنا بنية أساسية من العدم بدون إسرائيل.

ومصر مفتـوحـة على العـالم بـدون وسـاطـة إسرائيليـة.. إنها «سنغافورة» أفريقيا.. إذا أوجدنا لها الظروف الأحسن.

واقتصاد مصر مفتوح على العالم بـدون سوق شرق أوسطية وبدون تطبيع.

نحن لسنا فى موقف الضعف ولا فى موقف الاحتياج.. فلماذا العجلة؟!

والمضى فى التطبيع لن يعبر إلا عن إرادة الأفـراد الذين سيوقعـونه.. وسـوف يكون ضـد إرادة مصريكامل شعبهـا وبكامل مـواطنيها.. وقـد شاهـدت خدم الفندق يحزمون حقـائبهم ويستعدون للرحيل هـربا من المصادمات القادمة مع السياح الإسرائيليين.

ومـا حدث أمـامى كـان مـؤشرا بليغا لماسـوف يحدث حينما نقع فى

مأزق التطبيع الكـامل.. سوف تبـدأ الفجوة بين الحكم بكـامل أجهزتـه وبين الشعب.. بين التطبيع القادم بالإكراه وبين عاطفة كل مصرى.

وحكـومتنـا رشيدة وعـاقلـة بـدون شك ولن تقع فى هـذا المطب ولن تستدرج إلى هذا المصير.

ومصر أرض أنبيـاء.. والفطـرة الـدينيـة عميقـة فى الشعب المصرى.. والعلمانيـون فى مصر بضع عشرات لا جـذور لهم ولا امتـداد لهم فى الشعب ولا يمثلـون إلا أنفسهم.. وهم أنقـاض شيـوعيين واشتراكيين تساقطوا مع انهيار كعبة موسكو وانهدام المحفل الشيوعى فى العالم.

مصر كنيسة ومسجد.. والدين فى نخاع المصرى وفى لباب قلبه.

الكنيسة المصرية ليست مثل الكنيسة الأمريكية.

وإذا كـان المسيحيون الأمـريكان صـوتـوا بأغلبية سـاحقة لتكـون السفارة الأمريكيـة فى القدس فإن الكنيسة المصرية بإجماع أفـرادها من الكرسى البابوى لأصغـر قسيس ضد الوجود الإسرائيلى الحالى بأسره فى القدس.. وشيخ الأزهر ومن ورائه كل المسلمين يقفون نفس الموقف.

وهنـاك وسيلة واحـدة للتطبيع هى اقتـلاع الإسلام والمسيحيـة من وجدان المصرى وتحويل مصر إلى تركيا علمانية وهى استحالة.

والوسيلة الوحيدة إلى تلك العلمنة هى اقتلاع قلب مصر ووجدانها.

وإذا كانـت إسرائيل تحلم بأحداث هـذا التغيير أو هذا الزلـزال.. فإن هذا الزلزال سوف يقبرها أولا ويقضى عليها قبل أن يقضى علينا.

وحكامنا العقلاء يعلمون هذا جيدا ولن يفتحوا أبواب هذا الجحيم.

وكيف نمـد الأيدى لنعـانق الجار الإسرائيلى وهو يهددنـا بترسانتـه النوويـة ويحتل الضفة ويغتصب أراضى القدس من أهلهـا ويعسكر فى جنـوب لبنـان ويصطنع لـه جيشا مـواليـا من الخونـة ويحتل الجولان ويـوجه راجمات صـواريخه إلى دمشق.. وكل أمـريكـا وكل الكونجـرس معه.. ونحن فى العراء.

إنه التركيع لا التطبيع.

ونحن نمد أيدينا فى النار فى سياسة انتحارية لا مبرر لها البتة.

وحكامنا أعقل بكثير من أن يرتكبوا تلك الحماقة.

تمهلوا يا رجال.. فإن السائر على مهل هو أول من يصل.

واقرأوا الفاتحة على أسرانا المقتولين غدرا وهم مكتوفى الأيدى والأرجل.. والملقى بهم فى حفر فى رمال سيناء لايعرف مكانها أحد.

وتذكروا الغادر.. والرصاصات الغادرة فى الظهر.. والأيدى الجبانة التى لاتستحى.. والأفواه التى تسيل بالكلام المعسول.

انظروا للقضية كلها من خلال منظورها التاريخى لتدركوا ذلك الكم الهائل من الخداع الذى يجرى والذى تروج له الأبواق وتطبل له العقول المشتراه والمخدورة.

واسألوا الله أن يهديكم فنحن نعيش فى زمان يضل فيه الحليم.

رابين

قُتل رابين فى محفل بين أهله وحزبه.. قتله يهودى رميا بالرصاص.. تماما كما حدث للسادات.. قُتل وسط جيشه وحكومته.. قتله الاسلامبولى رميا بالرصاص.

الحادثان يقولان نفس الشيء.. إن السلام بشكله الحالى هو المشكلة وليس الحل.. وإذا كان يبدو فى نظر البعض أنه حل.. فهو حل فى حاجة إلى حل.

إن ما حدث كان هو التطبيع على الطبيعة.

وكما رأيناه على الطبيعة.. كان مسلسلا دمويا.. وهو فى حقيقته ليس أكثر من ذلك.

والسبب.. أن الله ليس عنده تنازلات ولا توجد عنده أنصاف حلول.. فلا إصلاح بنصف حق ونصف باطل.. ولا يمكن أن تتغير عقائد الناس بقرار وزارى.

إنما هى أحلام أمريكية.. وأوهام عربية.

والتطبيع بصورته الحالية سائر حتما إلى صدام ليسود فى النهاية من يريده الله أن يسود.. فالكون يحكمه خالقه وليس الكونجرس.

وأكبر خطأ نـرتكبه أن ننظـر إلى مقتل رابين باعتبـاره عملا إرهـابيا فرديـا.. فالقاتل لم يكن يعبر عن نفسه حينما فعل مـا فعل.. وإنما كان يعبر عن كل سكان المستوطنات في إسرائيل وعن آيات توارتية يقرأها كل أطفال اليهـود في مدارسـهم ويؤمنـون بها ويرددونها على أنها حق مطلق لايقبل الجدل.

إننـا نواجـه يقينـا مطلقا على الجانبين لـن يستطيع أن يقتلعه مقـال صحفي.. وما سيجـري للقدس هـو مشيئة إلهيـة.. وما السيـاسـات إلا مجرد أدوات لتلك المشيئة.

إنـها ليست السنبلاوين.

إنـها القدس ياسـادة .. !

إنها البلدة التـي بارك حـولـها رب العالمين.. وهـي العـاصمة الأبـدية للأديان الثـلاثة.. وكل دين له حق فيها مثـل الآخر.. ولا يمكن أن تكون عاصمة لإسرائيل.

ما يجرى على المسرح السياسى العالمى يثير التأمل.. صدام حسين القائد العراقى المهزوم الذى تسبب فى نكبة أمته ينتخبه شعبه بأغلبية ٩٩,٩٪ لسبع سنوات أخرى عجاف من حكمه الدكتاتورى الدموى.. والآلة الإعلامية الجهنمية فى العراق التى صنعت تلك الأكذوبة تهلل وتطبل وتزمر.. والشعب مشدوه.. هل هو الخوف من صدام حسين؟ أو الخوف من بديله.. أم أن الشعب العراقى المظلوم المطحون يرد اللطمة للقاهر الأمريكى نكاية وتحديا.. أم إنه التفريغ المستمر للشعب واستنزاف قياداته هو الذى أدى إلى هذا الفراغ والخواء المصطنع الذى مسح ذاكرة الشعب ولم يترك فيها إلا اسما واحدا هو صدام ولا شىء قبله ولا شىء بعده !! كما يحدث فى كل حكم دكتاتورى.

ان هذه الأغلبية الساحقة.. وتلك الأرقام الخرافية.. أصبحت شيئا مألوفا فى منطقتنا العربية.

إنها صور متكررة لنفس النوع من الحكم.. ونفس النوع من الاعلام المسيطر المكتسح الذى يمحو تعددية الآدميين ويمحو فردية الناس ويسحق شخصياتهم فى مفرمة الرأى الواحد ويحولهم إلى نسخ مسلوبة شائهة.. وقطعان تقول: نعم.. لأى شىء.. وتهتف لأى كلام..

انها ليست علامة تقدم.. بل علامة تخلف حقيقى.. ومرحلة قديمة

عبرتها أوروبا منذ دكتاتورية هتلـر وموسولينى وفرانكو وسالازار.. ولم تكررها..

وقد جـاء الوقت الذى نعبر فيه نحـن أيضا فى منطقتنا العربيـة هذه المرحلة ونتخطاها ونتجاوزها.. كما تجاوزتها أوروبا.

ان الـــ ٩٩,٩٪ ليست شرفـا لصـاحبها بل سبـة وعـارا وعجـزا عن مواجهة النقد والمعارضة والرأى الآخر.

ان الله العظيم القادر الجبار لم يحصل على هـذه النسبة حينما طرح خيار الايمان بوحدانيتـه.. بل كانت النتيجة فى ذلك الاستفتاء الالهى أقل من ثـلاثين فى المائة.. وقـال ربنا فى كتـابـه وفى أكثر من آيـة وأكثـر من سـورة وبأكثـر من صيـاغـة.. إن أكثر النـاس لايـؤمنـون.. وقـال عن المؤمنين.. وقليل ماهم..

ولم يقلل هـذا من عظمـة رب العــالمين.. لأن ربنـا لايقبل أن تكـون العبـادة التى يباشرهـا خلقـه هى عبـادة الخوف والكراهيـة ولايحب أن تكون طاعتهم هـى طاعة المغلوبين المكرهين.. بل أرادنـا الله أحرارا نأتى اليه بـاختيارنـا دون أجهزة أعـلام تسوقنـا ودون ارهاب يقهـرنا.. بل حرم ربنـا الجبروت فى كل أشكاله.. وجعل من حريـة الضمير الانسانى قدس أقداس لايجوز المساس بها.. وجعلها أكرم ماخلق فيمن خلق.

وهكذا فـاز صدام حسين بـذلك الاجماع الخرافى الذى لايحدث الا فى الحواديت المفتعلة بفضل أجهـزة القهر التى يملكهـا وليس بفضل بريق شخصيته ولاجاذبية سلطانه.

وفى الجانب الآخر من العالم وفى القارة الأمـريكية رأينا صورة أخرى على النقيض من ذلك تتـزامـن معهـا وتتـواقت معهـا.. فى اقتران عجيب لافت للنظر.

زعيم اسلامى أمـريكى اسمه لويس فاراكـان على رأس مليون ومائة ألف من الســـود فى زحف وتجمع رهيب على أبـــواب البيت الأبيض فى واشنطـون ليعلن تضـــامن الجماعـة السـوداء واصرارهـــا على الفـوز بحقوقها.

ورأينا كلينتون يقف أمام كاميرات التليفزيون ليعترف بما عاناه السود من الظلم وليعلن انه مع المليون فى آمالهم وأحلامهم ولكنه ليس مع زعيمهم فاراكان صاحب الماضى الأسود.. ذلك الرجل الذى يقف ضد اليهود وضد السامية.. والذى سوف يفرق الشعب الأمريكى ولن يجمعه (أى أن الشوكة فى لويس فاراكان كانت موقفه من اليهود).

ورأينا الحضور الاعلامى والتكتيك الاعلامى لمحطة الـ .C.N.N يحاول أن يحجب عنا كل شىء عن تلك المسيرة الهائلة ويحاول أن يحجب عنا كل مايقال فيها.. ثم يبرز على شاشاته كل أعداء فاراكان فى محاولة مستميتة لتسخيف آرائه .. وكادت الـ .C.N.N أن تتحول إلى محطة عراقية من الدرجةالثالثة.

وحاولت الـ .C.N.N أن تسوق فاراكان إلى اعتذار علنى موجه لليهود.. ولكن الرجل قال فى لطف ودبلوماسية : لو أن يهوديا واحدا كشف لى عن خطأ ما قلته فى حق اليهود.. لما ترددت فى الاعتذار.. ولكن ليس من طبعى أن أعتذر عن حق أعلنه وأومن به.

ولم يستطع التحيز اليهودى لمحطة الـ .C.N.N أن يحجب القوة الرهيبة للحضور الاسلامى الذى فرض نفسه على الساحة التى امتلأت بمليون ومائة ألف صوت.. وفى المواجهة الساخنة بين الضغط اليهودى وذلك الحضور الاسلامى جاء الصوت اليهودى خافتا.. وكان ما جرى أمام العالم.. استفتاء حرا رفيع المستوى.. أعتقد أنه سوف يكون عاملا مهما فى صناعة القرار الأمريكى أمام أى زعيم قادم فى المستقبل.

وكان الهدوء الذى اتسمت به مسيرة المليون أفضل رد على التهمة الارهابية والاجرامية التى يحاول الاعلام الغربى أن يلصقها بالاسلام والمسلمين.

وفى نفس الوقت كانت الجماعات المأجورة التى تدعى انها اسلامية تفجر القنابل والعبوات الناسفة وتقتل الأبرياء فى مترو باريس.. ومازال الغرب يؤوى تلك الزعامات ويمدها بالمال والسلاح لهدف عزيز يحرص عليه وهو تشويه الاسلام وصورته..

ولكن اجتماع المليـون والمائة ألف أسـود فى قلب القلعـة الأمـريكيـة ومروره فى سـلام دون حادث واحد مخل بالأمن.. كـان ردا بليغا مفحما على تلك الشبهات.

ونعلم جميعـا أن الـذى فجـر القتال بين الجماعـات الاسـلاميـة فى أفغانستان وأحـال شوارع كابول الى حمامات دم كـانت أموال الـC.I.A وأسلحتهـا وصـواريخهـا.. وحينما بـدأت الحرب تهدأ ظهـر فـريق الطـاليـان.. وهم جماعـة من طلبـة الشريعة.. وفـوجئنـا بهولاء الطلبـة يحاربون بمائتى دبابـة وطائرات وصواريخ.. من أين جـاء هؤلاء الطلبة الفقراء بهذا السلاح وبهذه الملايين..؟؟!

وقالوا باكستان هى التى تمول وتسلح.. باكستان الفقيرة المدينة؟!!

ونعلم جميعا من كان وراء باكستان.

انه نفس الحليف الغنى والقـوى الذى يفضل دائما أن يقاتل ويخرب بأيد مستعارة.. ويفضل دائما أن يختـارها أيد اسلاميـة مأجورة يد فع بها أمامنا لتملأ صفحات الأخبار.

من الذى كان يُسلح الهوتو والتوتسى فى رواندا.. انها فرنسا.

ومن الذى كان يسلح قبائل الصومال.. وجماعات محمد على مهدى.. وميليشيات عيديد.. انه الغرب.. بدوله ومخابراته.

ومن الذى كان يسلح قبائل جنـوب السودان الوثنية.. ومن كان وراء جون جارانج.

ومن الـذى صنع الصراع المسيحى الاسـلامى فى الجنوب السـودانى الذى كان وثنيا بدائيا على الفطرة.

ومن الذى صنع الحرب الأهليـة اللبنانية وأشعل النـار بين الطوائف الاسـلامية والطـوائف المسيحيـة لمدة ست عشرة سنة.. ومن كـان وراء سمير جعجع فى جـريمـة تفجير كنيسـة سيـدة النجـاة فى لبنـان.. انها الموسـاد الاسرائيلى.. ومن كـان وراء العميل مارشال عـون.. وأى سفارة كـانت تـؤويـه حينما انهزم.. انها السفارة الفـرنسيـة فى بيروت.. وقـد

جاءت غواصة فرنسية لتحملـه إلى فرنسا مع صناديق الذهب التى هرب بها.

انــه الغــرب دائما.. ودول الاستعمار القــديـم تحاول أن تحتفظ بقبضتها وسيطرتها.

هل يشطح الخيال إلى بعيد إذا تصور أن هنـاك خيطا يجمع كل هذه التحركات ويسلكها فى استراتيجية واحدة وراء الكواليس.

إنها لايمكن أن تكون جميعها مصادفـات.. مادامت تصب جميعها فى هدف واحـد هو اشـاعة الفتن والخراب والحروب والتخلـف والصراعات الدموية فى الدول النامية الفقيرة فى آسيا وافريقيا وأكثرها دول اسلامية منهكة مدمـرة بعد استعمار طويل تحاول حكومـاتها أن تستجمع قواها لتنهض وتأخذ مكانها بعد طول غياب.

ومن الـواضح أن الاستعمار قد تـرك آلية سيـاسية للتـآمر وعمـلاء لتقسيم وتخريب تلك التركـة التى خلفها لتظل تلك الـدول ضعيفة فقيرة تابعة للسادة الكبار.

ولامــانع من استخـدام الـدين واستعمالـه كأداة للتفـرقـة ووسيلـة للتناحـر والتقاتل ، ولامانع من استئجـار الفئات الدينيـة المتعصبة.. ولا مانع من رشـوة الجناح المتخلف من كل ديانة وامـداده بالمال والسلاح.. حتى تبدو أن هذه الأديان تموت من داخلها.. وتفنى بأيدى أهلها.

أنا أعلم أن هناك آراء كثيرة تنكر هـذا التدخل من الخارج وتنكر مبدأ التآمـر وتقول إنها ظواهـر تخلف محلى ساهم فيه أصحـابه ولم يسـهم فيه الغرب بشىء..

وإذا صدقناهم.. فعليهم أن يفسروا لنا.. من أين جاء كل هذا السلاح وكل هذا التمـويل.. من أين لحكمتيـار بالمليار من الـدولارات التى جلب بها كل تلك الطائرات والـدبابات والمدرعات.. ومن أين للتـوابع الأصغر.. أيمن الظـواهـرى ومصطفى حمزة وغيرهـم بهذه الملايين من الـدولارات التى يديرون بها عمليـاتهم.. ومن أين لمهدى وعيديد بهذا التمـويل الذى ينفق به على ميليشياته.

ولماذا نستبعد أيدى السادة المستعمرين القدامى؟

وماذا حدث حينما أعلن عبدالناصر تأميم قناة السويس.

ألم يحدث الهجوم العسكرى الثلاثي من انجلترا وفرنسا واسرائيل على مصر فى هذا الاعلان.. ألم يكن هذا تآمرا صريحا خسيسا..؟!

وهل فعلت مصر أكثر من انها حاولت أن تأخذ مقدرتها الاقتصادية فى أيديها.. وأن تستقل بثرواتها بالفعل وليس بالكلام..فكان الرد الفورى.. أن هذا الاستقلال الاقتصادى ممنوع.. وأن على الدول النامية أن تظل تابعة وضعيفة ومتسولة وتأخذ لقمتها من أيدى سادتها.. وأن الاستعمار مستعد لأن يحارب ليحول دون تلك النهضة.. وقد حارب بالفعل.

ومايحدث الآن فى جميع البقع المشتعلة من العالم هو نفس الشىء ولكن من وراء الكواليس.. وباستعمال أيد مأجورة.. وعمالة مشتراه.. لتقوم بنفس الدور التخريبى.. ومازال نفس الثلاثى من اسرائيل وأوروبا وأمريكا يتعاون معا لنفس الهدف.

والسلام الحالى الذى سلحوا فيه اسرائيل بالقوة النووية وحرموا كل الطرف العربى من أى سلاح مقابل.. هو نفس الحرب الذكية ولكنها هذه المرة تلبس أردية السلام وتحاول بالتفاهم أن تحصل على المكاسب التى عجزت عنها بالحرب.. انها الحيلة الجديدة ليعودوا الينا من الأبواب الخلفية راكبين على الدابة الاسرائيلية.

أقول هذا للذين صدقوا هذا السلام والذين يصفقون ويهتفون للخنجر الذى ينغرس بهدوء وسلاسة فى العقل العربى والقلب العربى حتى سويدائه.

وسؤال واحد أوجهه إلى اسرائيل:

كيف يلجأ الصديق إلى إرهاب صديقه ويضع القنابل النووية على بابه.. ثم يطالبه بالثقة وحسن النوايا وبالأيدى الممدودة بالمحبة والتعاون.. كيف..؟!!

أتضحكون على أنفسكم.. أم علينا ياسادة..

إن الغدر واضح تفصح عنه الأفعال.

والنوايا السود من وراء معسول الأقوال .

وأفعالكم كل يوم تكذبكم..

والذين يتكلمون باسمكم فى جرائدنا أقلامهم ميتة ولاتقنع أحدا..

وأفعال الدول الكبار من ورائكم.. فى البوسنة والشيشان تحتل رؤوس الصفحات وتجهر بسوء النيات.

وجماجم أسرانا الذين قتلتموهم غدرا لم تتحول إلى تراب بعد.

وأنتم تبكون موتاكم الذين قتلهم هتلر من خمسين سنة.. وتبتزون أموال أوروبا فى نزيف من التعويضات لاينتهى.. فإذا ذكرناكم بقتلانا أغلقتم الملف وقلتم أنه سقط بالتقادم.

وهذه صداقتكم.. وهذه اخوتكم.

وهذا سلامكم.. فكيف نصدق؟

هى حكايات للذكرى ، لعل الذكرى تنفع المؤمنين.

القرارات القادمة منه مـؤتمر بكين والدفاع المستميت عن جماعات اللواط والسحـاق وعن حقوق المرأة فى اختيـار الدعـارة مهنة إذا أحبتهـــا ، وعن حق المرأة فى أن تحمـل ممن تشاء شرعا أو سفاحا وأن تجهض نفسها متى تشـاء.. والنظر إلى العفة والوفاء الـزوجى والطهارة الجسديـة على أنها رجعية وتخلف.. وعروض الأزيـاء الأخيرة التى تظهر فى الـCNN وغيرها مـن المحطات التليفزيـونية الجادة والمحترمـة والتى تظهر فيها العارضات عاريـات «بلبوص».. وهذه هى المرأة التى تريد أن تقاسم الرجل السلطـة وأن يكون لها صوت مساو لصـوته فى إدارة دفة الحكم.. أى حكم هذا الذى يسوقوننا إليه .. ؟؟!!

ان أبسط توصيف لما يجرى أنه عودة إلى جاهلية.. جاهلية جديدة فى عصر الفضاء والـذرة والالكترونيات.. ورغم هذا العلم يعـود الإنسان إلى الوراء.. إلى جـاهلية غريبة يستسلم فيهـا لشهواته وأهـوائه ويتغلب فيه الحيـوان داخلـه وتتحكم فيـه نـزواته وشهـواتـه.. وهـذه المرة تطـالب الشهوات بالشرعيـة.. وتتوج الغرائز الحيوانيـة لتصبح حقوقا.. وتسمى النزوات انفتاحا والشذوذ تقـدما.. ثم يطلب من شعوب العالم أن تبصم وتوقع.. وتتحالف عليها ضغوط من دول كبرى تملك مقدراتها.

ومن يـرفض التـوقيع ويتخلف عن الـركب لن يكـون لـه نصيب فى المعونات ولافى القـروض ولا فى التسهيلات الاقتصادية .. وسـوف ينظر

إليـه عـلى أنه رجـعى وبـدائى وخـارج عن القطيـع المتحضر .

وهذه الهجمة سبقتها فى السنـوات العشر الأخيرة مدفعية من الأفلام السينمائيـة الهابطـة والمسلسلات التليفـزيـونيـة ذات الطـابع الجنسى وكـوكبة من البرامج الفـاحشة التى تبثهـا الأقمار الفضـائيـة .. وعشرات من مجلات السكس ومطبوعـات البلاى بـوى والبومات العـرى ونـوادى العرى وطـوفان من الماريجوانا والكـوكايين والهروين وعقاقير الهلـوسة يتـدفق على الشباب من كل قنـوات التهريب .. ومن قبل ذلك منشـورات الماركسيـة وكتب الـوجـوديـة وفلسفـات الالحاد ومـا فعلتـه فى نسف الأساس الـذى تقوم عليه حضارتنـا الايمانية .. وما فعلتـه مدارس الفن الجديـدة التى جعلت من القبـح والهمجيـة والفـوضى مقـدسـات وآلهة معبودة ورموز للجمال .. فى لوحات بلا معنى ..

كل هذا كان مقدمة وتمهيدا مطلوبا قبل أن تسفر هذه الجماعات عن وجهها فى مثل هذا المؤتمر.

كـانت هنـاك عمليـة تسلل إلى الجذور وعمليـة تسميم للينـابيع.. ثم تكـرار للمشهـد العـارى وإلحاح عليـه فى كل فيلم حتى يصبح مشـهـدا عاديا.. وإشـادة بالخيانة الجنسية حتى تصبح أمرا طبيعيـا مألوفا.. ثم تصبح رمزا للثورة والتحرر والتقدمية.

ثم ها هم أولاء أخيرا يجلسـون حول مـوائد مستديـرة وعلى ملأ من العـالم.. يتحدثـون فى تعالم وجـديـة شديـدة وبدون خجل عن شرعيـة اللـواط.. وحق الـدعـارة للمـرأة إذا اختـارت لنفسهـا الـدعـارة.. وحق السحاقية فى أن تساحق من تحب.

ونحاول نحن فى حياء أن نبحث للمصيبة عن صياغة أكثر قبولا

ونحاول أن نضع عبارة بديلة أكثر وقارا.

ونشعر نحن بالخجل..

ويشعر بعضنا أنه دقة قديمة.

ويشعر بعضنـا أنه ولـد فى الزمن الضـائع.. وأنـه حفريـة اجتمـاعية انتهى عصرها.

ويخشى البعض أن يفتح فمه فيتهم بأنه متخلف.

ولكن الحقيقة ياسادة أننا نواجه جاهلية شرسة.. وأن هناك اغتيالا منظما للدين والقيم والأخلاق وكل ما تعارفنا عليه بأنه نبيل وشريف.. وأن الجزء الأكبر من هذا الاغتيال مهد له التليفزيون والفيلم السينمائى والمسرح والكتاب والفن التشكيلى وفلسفات الإلحاد فى الستينيات والسبعينيات والثمانينيات من هذا القرن، وإننا نحصد زراعات قديمة زرعوها فى عقولنا وفى أذواقنا.. وأننا أطفال أسىء تربيتهم فى مدرسة الفنون وفى المحضن الإعلامى فى القرن الأخير.

ماذا كان يفعل بنا التليفزيون؟؟!!

وماذا كان يفعل بأمثالنا ممن كانوا يحملقون فى الشاشة الصغيرة فى كل بلد على أنها واجهة التقدم وثمرة العلم والعبقرية.

كنا نتشرب فى انبهار كل مايظهر على الشاشة وكان طول الجلوس وإدمان النظر فى التليفزيون يؤدى بنا إلى تفريغ عاطفى ينتهى بنا إلى شعور بالخواء والوحدة والإكتئاب ثم احساس بالإعياء والخمول.

ولم يكن التليفزيون يجمع شمل الأسرة بل كان يفرق أفرادها ويحول كل فرد فيها إلى جزيرة منعزلة.. كل فرد كان يتحول إلى دائرة مغلقة بين عين وشاشة.. وينتهى بذلك التواصل والحوار فى الأسرة وتتحول كلها إلى عيون محملقة محمرة من السهر.. كل عين فى واد.

وقد تحول التليفزيون فى الدول النامية والشمولية إلى جهاز سيادى وآلة سياسية لقهر الشعوب قهرا لذيذا مسليا وأفضى إلى غسيل ممتع لمخها برضاها واختيارها.. وأصبح لونا جذابا من الإدمان يتعاطاه الشباب للنسيان والتغييب وقتل الوقت والترويح.. ولم يكن الترويح يؤدى إلى راحة بل إلى خمول وسلبية واعياء نفسى أكثر وأكثر.

وبالتدريج فقد التليفزيون تأثيره وتحول إلى مجرد عادة مثل مضغ اللبان.. وفقد دوره السياسى، فلم يعد أحد يلتفت إلى مايذاع أو يهتم بما يقال.. وأصبحت عين المشاهد تبحث بلهفة عن السيقان والصدور العارية والغناء المكشوف والمضمون الهابط والحوار المبتذل والفوازير والمسابقات والهزليات المضحكة.

واتخذ الأطفال من الشاشة الصغيرة ملهما جديدا ومعلما للآداب الواجبة نحو البيت فهو يتعلم من مدرسة المشاغبين والعيال كبرت كيف يعامل أباه وامه.. وأبوه هو الآخر يأخذ الدكتوراة من مسرح الشارع الذى يسهر كل يوم مع حزمنى يابابا.

هذه هى الينابيع الجديدة التى أصبح يشرب منها صغارنا وكبارنا. وكان طبيعيا أن نتغير بالتدريج من الداخل.

وتلك كانت «الفرشة» والتمهيد النفسى لما يجرى الآن من اغتيال حضارى فى هذا المؤتمر الوقور الذى يمتلىء بالعلماء وأشباه العلماء ومايتردد صداه من كلام كبير ومصطلحات «مكلكعة» ومحاضرات علمية متخصصة موغلة فى التخصص والغموض بهدف واحد محدد فى النهاية هو أن نفقد هويتنا ونفقد أخلاقنا ونتحول إلى توابع وأجرام فضائية صغيرة تدور حول شمس الغرب التى بدأت فى المغيب.

وليست هذه نبوءة.. بل حقيقة.. فالأخلاق هى النسيج الضام الذى يصنع من الأفراد أسرة وبدونها تنفرط الأسرة فلا أخوة بدون تآخ.. ولا عائلة بدون أمومة متفرغة حانية.. ولا بيت بدون مودة ورحمة وتعاطف ووفاء.

وبيوت مشغولة باللواط والسحاق سوف تقضى على نفسها بالعقم.. حيث لا نسل ولا انجاب.

انها أمم تنتحر.. ومجتمعات تموت.

إنهم ينزلون الحب من عرشه ويضعون مكانه النزوة.

وينزلون الله من قدسيته ويضعون مكانه العلم.

ويخلعون الدين من محرابه ويضعون مكانه الدولار.

فى مستقبل محفوف بالأخطار سوف يشح فيه الماء ويسود الجفاف وترتفع حرارة الأرض وتذوب الثلوج وتغرق السواحل ويهلك الزرع والضرع.. وفى مواجهة مؤشرات بازدياد الزلازل وتفاقم التلوث.. وسوف يواجهون كل هذا بمجتمعات ينخر فيها سوس المخدرات والانحلال..

وعلماء عظام يصرخون.. ياعلم.. ياهندسة وراثية.. ياكمبيوتر.. ياإليكترون.. سبحانك.

وسوف يرد عليهم ربهم الذى لم يعرفوه كما رد فى الماضى على أقوام عاد وثمود.

أما نحن.. فنحن للأسف أضعف من أن نرد.. ولايملك الواحد منا إلا أن يغلق على نفسه باب بيته.. ويرابط فى آخر ثغور المعركة.. فى خندق ضميره.

ويسأل الله النجدة.. صارخا كما كان يصرخ موسى داعيا ربه على قوم فرعون الذين طغوا بأموالهم فى الأرض.

﴿ ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا.. ربنا ليضلوا عن سبيلك.. ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾.

وطغيان الأقوياء بأموالهم وعلومهم أشد من طغيان فرعون وعصابته وقد أعطاهم الله من العلوم ومن أسباب القوة مالم يعط فرعون فطغوا واستأسدوا وسادوا الدنيا بفسادهم وركبوا أكتاف الضعفاء وملأوا الدنيا بضجيجهم وملأوا الفضاء بطائراتهم وأقمارهم.. ووصلوا إلى المنعطف الأخير حيث لم يكتفوا بالاستيلاء على ثروات الضعفاء بل رغبوا فى الاستيلاء على عقولهم وضمائرهم.

وذلك هو الخندق الأخير الذى بقى لنا حيث لم يجعل الله لأى قوة سلطانا ولا مدخلا إلى الضمير.

وذلك هو قدس أقداس النفس لاتقتحمه قوة إلا إذا اختارت النفس أن تفتح لها الباب وأن تستسلم وتخضع لها اختيارا.

لا توجد قوة فى الأرض تجعلنى أحب رغما عنى مالا أحب.. وأرضى رغما عنى مالا أرضى.

وهذا هو المخبأ الوحيد الذى تبقى لى والذى لاتستطيع أن تدمره قنبلة ذرية أو هيدروجينية.

فلا تيأسوا ياإخوتي مادام في كل منكم ضمير حي وارادة رافضة لكل هذا الذي يجري.

وفي كتاب المواقف والمخاطبات للنفرى يقول ربنا لعبده مؤكدا على تلك القوة التي جعلها الله في داخل الانسان :

ياعبد.. أنت مني.. أنت تليني.. وكل شيء في الوجود يأتي بعدك. لاشيء يقدر عليك إذا عرفت مقامك ولزمت مقامك.. فأنت أقوى من الأرض والسماء.. أقوى من الجنة والنار.. أقوى من الحروف والأسماء.. أقوى من كل مابدا في دنيا وآخره.

وهذا ياإخواني هو العبد الرباني الذي لايخشى شيئا ولايهاب شيئا. ولاشيء يقدر عليه.. ولاقوة ترهبه.. ولاطاغوت يصل إليه.

وهذا هو مخبؤنا الأخير من فساد هذا العالم وطغيانه وتلك قوتنا حينما نفقد كل قوة.

ونحن بخير.. ونحن بمنجاة من هذه الجاهلية مابقى إيماننا ومابقيت ثقتنا بالله وبكتابنا.

٧ الإعصار القادم

حينما بدأ العدوان الغادر على البوسنة وتدفقت الأسلحة الثقيلة والمساعدات لتشد أزر المعتدين الصرب.. من جانب روسيا واليونان وبلغاريا ورومانيا وبلجراد.. واقتحم عساكر الصرب أرض البوسنة يهتكون الأعراض ويغتصبون النساء ويحرقون المساجد ويمزقون المصاحف ويذبحون الأطفال أمام أمهاتهم فى غزوة بربرية تشمئز منها النفوس.. وكان الطرف المعتدى عليه نساء وشيوخا وأطفالا وشبابا ورجالا لاسلاح فى أيديهم سوى بنادق قديمة.. كان لابد لأطراف المؤامرة أن يخترعوا عذرا لعدم التدخل حتى لايفتضح تخاذلهم ومكرهم أمام رأى عام غاضب ورافض.

سمعنا الرئيس بوش ساعتها يقول بلهجة حاسمة : إن مايجرى فى البوسنة هو حرب أهلية وخلافات عرقية وتصفية حسابات قديمة وأن الحل الأمثل هو الحل الدبلوماسى. وفى الوقت نفسه، حظر السلاح على الأطراف المتحاربة وهو حظر لم يطبق إلا على المسلمين بينما ظل السلاح الثقيل يتدفق على الصرب.. والحجة التى ابتدعها فى ذلك وصارت مثلا هى.. لاننصح بإمداد المسلمين بالسلاح حتى لايطول أمد الحرب.. والأفضل هو التفاوض والحل الدبلوماسى.. لمنع إراقة الدماء.. ويالها من حجة عجيبة أدت إلى عكس منطوقها وأراقت الدماء أكثر وأكثر ولمدة ثلاث سنوات.

وفوجئنا بجون ميجور يقول نفس الكلمات.. وميتران يردد نفس الكلمات.. والأمم المتحدة تقول نفس الكلمات.. وبطرس غالى يكرر نفس الكلمات فى آلية وببغاوية عجيبة.. لاتمدوا المسلمين بالسلاح حتى لاتطول الحرب ويزداد نزيف الدم.. والمقصود طبعا هو توفير دم الصرب.. لأن دم المسلمين مباح.

وكان عذرا أقبح من ذنب.. وحجة متهافتة.. ومنطقا مقلوبا لايقبله عقل. وقلت فى نفسى : ترى ماذا كان يحدث لو أن أمريكا لجأت إلى نفس الحجة حينما استنجدت بها بريطانيا وأوروبا فى حربها مع هتلر.. وقال روزفلت وأيزنهاور ساعتها : لاننصح بإرسال السلاح.. حتى لاتطول المعركة ويزداد عدد القتلى وتراق الدماء أكثر وأكثر.

وقلت : لوفعلوها.. لما كان هناك الآن جون ميجور ولاميتران ولاأى رئيس أوروبى ولاأى دولة أوروبية.. ولما كان هناك سوى ألمانيا النازية.

والهدف الشرير والخفى من هذا المنطق المقلوب كان إبادة الطرف المسلم ومسح اسم البوسنة من الخريطة.

إنهم كذابون ..

لقد ابتلعوا كلهم أكبر حق من حقوق الانسان وهو حقه فى أن يدافع عن نفسه وحرموا القتيل من السلاح الذى يرد به غائلة الموت.. ونطقوا إفكا.. وقالوا زورا.

وطالت الحرب البوسنية رغم هذا لأكثر من ثلاث سنوات والجنود المسلمون يجابهون الموت كل يوم بأسلحة خفيفة.. وافتضح التخاذل والتآمر الغربى وشعر البعض بالخجل وبحثوا عن أسلوب أكثر ذكاء ليغطوا به على تآمرهم.. ورأينا كلينتون يطالب برفع حظر السلاح عن المسلمين ورأينا فريق الكونجرس يتكتل ضده ويرفض.

وفى جولة أخرى تقرر أغلبية الأصوات فى الكونجرس رفع الحظر.. فيرفض كلينتون.. توزيع أدوار هزلى وغبى..وحدث نفس الشىء فى فرنسا وفى انجلترا.. أصوات تقول: نرفع الحظر وأصوات تقول: لانرفع

الحظـر.. غطـاء كوميـدى لجريمــة تـاريخيـة قذرة تـورط فيهـا الكل.. ويستقيل وزراء من ألمانيـا ومن فـرنســا وقـد شعـروا بالمهـانـة ولقـد شعـرواكلهم بالفعل أن حجتهـم أصبحت «ماسخــة» وأصبحت لاتجوز على أحد وأن التمثيلية التى حبكوها طلعت «بايخة».

وبحثوا عن غطاء جديد ليغطوا به وجوههم التى شاهت.

وتفتقت أذهانهم عن عبارة جديدة.. سمعتهـا أول مرة من أمريكا ثم من فرنســا ثم من انجلترا.. عبارة مختصرة جـدا من كلمتين.. هـى.. فات الوقت.

فات الوقت على أى فـرصـة لإرسـال سـلاح.. فالأسلحـة الثقيلة سوف تحتاج لشهور أخرى لنقلها إلى ساحــة المعركة ثم شـهور أخرى للتدريب عليهـا.. وفى ذلك الـوقت يكون الصرب قـد أنهوا الحرب واحتلـوا الأرض كلها ولم يعد هناك مجال لعمل شـىء.

وكذبوا مرة أخرى.

بل هم الذين كذبوا أنفسهم بأنفسهم.. فقد بادرت ألمانيا بوساطة من بـابا الفـاتيكان بإمـداد الجيش الكـرواتى بأسلحة ثقيلـة فوريـة ودفـع الفاتيكــان الفاتورة.. وقـام الجيش الكرواتى بهجـوم كاسح على الصرب المعتدين فى كراييـنا وطردهم منهـا فى فلول وطوابير وأرتال من السيارات الهاربـة.. مـــائتـا ألف صربى تحولـوا إلى سرب مـن الــلاجئين فى أربع وعشرين ساعة.

وحدث هذا منذ شـهور أمام أعين الكل على شاشـات التليفزيون.

إذن.. لم يفت الوقت ياسادة.

وأوروبا إذن.. كـانت تستطيع أن تنجـد وتسعف حينما تريـد.. وقد أرسلت نجـداتها للأخـوة الكروات الكـاثوليك.. ولكن الكـاثوليك أمـرهم مختلف.. فعندهم من ينجدهم.. ومن يدفع لهم.. أما المسلمون فكلينتون يقول لهم : فات الـوقت.. ويقولها جون ميجـور.. ويقولها شيراك.. فات الوقت.. للأسـف الشديد فاتت الفرصـة ياسـادة.. ولكن الوقت لم يفت.

وإذا كان الـوقت يفوت فـالكبار هم الـذين يفوتونـه بعدم الـرغبة فى عمل شيء.

وموقف الجماعـة الأوروبية وموقف انجلترا وموقف روسيـا وموقف أمـريكـا مـوقف مهين.. وهـو لـلأسف مـوقف من الإسـلام والمسلمين بإطلاق.. ومايجرى لمسلمى الشيشان وأذربيجـان وكازاخستان وبورما وكشمير وألبانيـا والفلبين وفلسطين وليبيريا.. هل سمعتم عما يجرى فى ليبيريا.. ومـايفعله جيش تشارلـز تيلور (وهم جنـود من أصل أمريكى زنجى americo liberians بدأوا غزوهم لـدولة ليبيريا بالإطاحـة برئيسها صمويل دو ثم انطلقوا يبيـدون الشعب الليبيرى المسلم وهو يمثل ٣٥٪ من المواطنين ويبلغ حوالى المليون.. وقتلـوا وشردوا خمسين ألفا وأحرقوا الدعاة والأئمة بصب البنزين عليهم وإشعال النار فيهم وفصلوا رؤوس آخرين عن أجسـامهم وعلقوهـا على المنابـر وقطعوا ألسن المؤذنين وهم أحيـاء وبقـروا بطـون الحوامل وأحـرقـوا المسـاجـد ونسفـوا المدارس الإسلاميـة ونهبوا المتاجـر واغتصبوا الفتيات أمـام أعين أهليهن.. وكان تعليق النـائب الـديمقراطى الأمـريكى إدوارد كينـدى أمـام الكونجـرس أيامها.. إنها من أسوأ المآسى الإنسانية المهملة والمنسية فى عالمنا.

والسؤال الذى يقفز إلى الذهن..

من أين جـاء تشارلـز تايلور بـالسلاح الثقيـل والذخائر والتمـوين لجيشه ومن أين جـاء بالأموال وكيف تناسى الإعـلام الغربى ما يجرى من مـذابح فى أرض الذهب والماس فى افـريقيـا التى تنتهك وتغتصب فى غفلة من العيون.. لقد ذهب التليفزيـون إلى راوندا ليصور مذابح الهوتو والتوتسى وكلهم وثنيون ولم يقترب من أرض ليبيريا ليكشف ما يجرى لمسلميها وإنما أسدل عليها ستارا مريبا .

هناك حملة صليبية جديدة ياسادة تقودها القوى الصـهيونية. بدأوها باتهام الإسـلام بالإرهـاب وتشويهه (وهم الـذين صنعوا هـذا الإرهاب ومولوه واحتضنوا أقطـابه) حتى يجدوا مبررا لهجمتهم الشاملة على كل ديـار الإسـلام لكسر شـوكـة المسلمين وإضعـاف الـدول الإسـلاميـة

وإرهابها تمهيدا للهيمنة الإسرائيلية القادمة.. إنها حرب عامة.. وتزامنها فى أكثر من دولة وفى أكثر من قارة.. فى وقت واحد ليس مصادفة.. بل تم بتدبير وتوقيت وإعداد وتخطيط سابق.

وهذه الحرب على بابنا ونحن هدفها.

وما عمليةالسلام إلا عملية تخدير واستراتيجية مرحلة.. وهو سلام بالاسم فقط ولكن القتال والنسف والتفجير والهجوم بالطائرات والصواريخ واغتصاب أراضى القدس وطرد ساكنيها يجرى كل يوم ويملأ أعمدة الأخبار.. والقتلى يسقطون والدماء تراق.. ونحن شهود عصر رهيب .

لقد أدخلونا نفقا مظلما من التعمية السياسية والتعمية الإعلامية والكلمات المضللة وهم يحلون مشاكلهم بالقتل والغزو.. وعلينا نحن أن نحل مشاكلنا بالمفاوضات .

والأسلحة النووية محظورة علينا.. والأبحاث النووية محظورة.. والأسلحة الكيماوية محظورة.. والأسلحة الميكروبية محظورة.. والتوسع فى الأسلحة التقليدية أيضا محظور.. وقد أباحوا لأنفسهم كل تلك المحظورات وأكثر منها مما لا نعلمه .

ولكننا شهود عصر ويجب أن نتكلم.. وهم بكل ذكاء يضعون فى أفواهنا الكلمات والصيغ والمصطلحات التى ننطق بها.. فنقول كما يقولوا.. فات الوقت ولكن الكلمة أمانة.. والكلمة مسئولية.. والكلمة هى الشرف الذى تبقى لنا .

وهى أضعف الإيمان حينما نبلغ نهاية الممكن ولا نملك أى وسيلة للفعل والتغيير .

ويقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ (٧٠ ـ الأحزاب).. كمبيالة ربانية بالفوز العظيم رهنها الله بصدق الكلمة .

وفى الآية التى تليها مباشرة .

﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (٧١ ـ الأحزاب) .

مما يدل على أن الأمانة المذكورة فى الآية هى أمانة الكلمة والقول السديد والعقل الرشيد الذى لا يباع ولا يشترى.. وأن الكلمة هى المسئولية الأولى التى سوف نحاسب عليها ونثاب عليها ونعاقب عليها.. لأنها أضعف الإيمان وأقل الحيلة حينما تغلق فى وجوهنا الأبواب وتنقطع الأسباب .

ثم إننا هدف تلك الإغارة الشاملة.. ولن يعفينا السكوت عن المغيرين ولن تعفينا مسايرتهم ولن تعفينا مجاملتهم ولا المشى فى ركابهم .

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (١٢ـ البقرة) .

لا فائدة ولا مخرج ولا حل تفاوضى ولا حل دبلوماسى.. والمجابهة سوف تقع حتما.. والصليبية هذه المرة صليبية يهودية وهى مثل سابقتها أيام صلاح الدين قادمة من أوروبا من يهود ونصارى أوروبا.

وكما حدث فى الأولى سوف يقف نصارى مصر معنا وليس معهم.. لأنهم من النصارى الذين قال فيهم القرآن :

﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾ (٨٢ ـ المائدة) .

فهم أهلونا وإخوتنا وهم أتباع المسيح حقا وسفراء محبته وهم يعلمون أن الصليبية القادمة لا علاقة لها بالصليب ولا بالمسيح.. وإنما هى استعمار يهودى وغزو وتوسع وأطماع ومصالح.. والذين يرفعون عليها نجمة داود وصليب المسيحية يكذبون ويزورون .

وحكومات المنطقة قد آثرت أن تسير على هدى المثل القائل :

(الباب اللى يجيلك منه الريح سده واستريح) فاختارت المسالمة والمسايرة والمهادنة وهو حل وقائى مؤقت ولكنه لن ينجى من المقدور.. فالريح قادمة وسوف تتحول إلى عاصفة ثم اعصار يكسر النوافذ وينسف الأبواب ويهدم الجدران على من فيها .

وانظروا إلى ما يجرى فى العالم وإعتبروا.

ولا تصدقوا الكلام المعسول.. فـالناس مواقف وأفعال وليسوا مجرد تصريحات .

وتأهبوا لـلأسوأ.. وأفيقـوا يا عرب المنطقـة ومسلميها ونصـاراها لما يراد بكم وبنا ولا تقفوا مع الظالم فإنه ضدكم ولن يرحمكم .

إنى أقـرع الأجـراس مـن سنين ولا أحـد يسمع.. والحوادث تتـوالى بالنـذر ولا أحد يرى.. وأتمنى أن أكون مخطئـا فى حساباتى.. فـلا أحد يحب الدمار ولا أحـد يريد الحرب لنفسه ولا لغيره.. ولكن مـواقع الدول الإسـلامية على الخريطة كلها تشتعل .

وأنا لست حفـار قبور وإنما أنا فنان عـاشق جمال يتمنى أن يرسـم سـهم كيوبيد على جذع شجرة .

ولكنهم للأسـف قطعـوا كل الأشجار.. ونسفوا كل كبـارى الاتصـال.. وانفـردت لغـة القـوة بـالضعفاء فى العـالم.. وأمسكت أمـريكـا بعجلـة القيادة.. والله وحده يعلم إلى أين ستسير بنا ؟!

حـريتـك الجنسية

التوصيـات الجديدة فى وثيقـة بكين تحمى حريتك الجنسيـة والشكل الجنسى الـذى تختاره لنفسك بين خمســة أختيارات.. أن تكـون مخنثا تضـع سـوتيانـا على صدرك أو تـربى شاربـا إذا كنت أمرأة.. أو تكـون لوطيـا تمارس الشذوذ مع أمثالك مـن الرجال وتتـزوج رجلا مثلك.. أو تكـونين سـحاقيـة تباشرين الشـذوذ مع امرأة مثلك وتتـزوجينها بعقـد شرعى.. أو تكون عاديا تقليديا وموضة قديمة فى اختيارك مثل أجدادك.. وذلك لأن من حقوق الإنسـان الأولى فى نظر الـوثيقة أن تُحترم اختياراته وخصوصياته .

والوثيقة تحض على المساواة فى الميراث بين الإناث والذكور.

ولا تـوجـد محاذيـر فى مزاولـة الجنس فى الـوثيقـة سـوى ضرورة استخدام العازل الذكرى للأمان من انتقال مرض الإيدز .

وللمرأة الحق فى الوثيقة أن تختار الـدعارة مهنة لها مادامت تحبها.. والوثيقة لا تعترض إلا على اكراه المرأة على الدعارة .

والوثيقـة تحطم كل العوائق السيـاسية والانتخـابية التى تحول بين المرأة والتسلق إلى ذروة السلطة لتحكم العالم وتكون بلقيس الجديدة فى سنة ألفين.. وهـى فى مجملها تحطيم صريح لـلأسرة وللأعـراف الخلقية وللعفـة وللحيـاء ولمقـررات الـديـن والفطـرة السليمـة التى أرادهـا الله لمخلوقاته.. وبالتالى فهى مرسوم هدم للمجتمع من أساسه .

والسؤال الذى يلح على الأذهان :

ما هـى القوى الحقيقيـة وراء هذه القنبلة النـاسفة للقيـم والأخلاق والدين والمجتمع وما هى الأيدى الخفية التى تريد بنا هذا الدمار؟ .

من هم الذين يخططون لهذا الخراب؟ .

ولماذا يحشد العـالم وتحشد الـدول وتحشد التنظيمات لتسقـى هذه الجرعة المخدرة والقاتلة لكل عرف نبيل وكل قيمة شريفة؟ .

ماذا يريدون بدنيانا؟ .

اقرأوا بروتوكولات آل صهيون وسوف تجدون فيها الجواب .

أيام قليلة يقضيها السائح القادم من الشرق فى أوروبا يكتشف فيها الفرق الشاسع بين الشرق والغرب.. فسوف يجد فى أوروبا النظافة والنظام والتكنولوجيا المتقدمة وارتفاع مستوى ونوعية الحياة للمواطن وتأمين العامل والمرأة والمريض والمعوق والعجوز الذى تقدم به العمر والحفاظ على البيئة من دخان المصانع وعوادم السيارات ومن الأيدى التى تلوث الطريق أو تقطع الشجر.. حتى الشجرة هناك من يحميها ويدافع عنها ويعاقب من يعتدى على حياتها.. وإلى جوارها شجرة أخرى أكثر عراقة هى شجرة الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان التى نبتت من دم الحروب والثورات وما زالت تنمو وتتعثر.

ولا نجد هذا فى بلادنا ولا فى دول الشرق السعيد التى تفتخر بأنها تدين بالإسلام دين النظافة والعدل والرحمة والعطف على المساكين ودين الحرية وحقوق الإنسان من قبل أن تظهر فى الغرب كلمة حقوق الإنسان .

ومن المؤكد أننا فهمنا إسلامنا فهما خاطئا.. وأكثر من هذا أننا استعملنا إسلامنا فى هدم أهدافه وتعاليمه ذاتها.. واستعملنا كلمات القرآن لنطفىء بها نور القرآن .

وأول وأكبر خطأ كان فهمنا لكلمة.. الإسلام لله.. وإسلام الوجه لله ومفهومنا للقدر ولما يجرى به القلم ولما كتبه الله فى لوحه المحفوظ .

وكان مفهومنا لكل هذا سلبيا تماما.. فما دام الله كتب وقضى وأبرم.. فما الداعى للكد والعمل والاجتهاد.. وبذلك حولنا إسلامنا إلى سلبية كريهة وكسلا وتواكلا بغيضا.

وفى هذا المفهوم تدليس على النفس وعلى الله.. فلا أحد يعلم ما كتب الله ولا ما قضى ولا ما أبرم.. ولا أحد يدرى ما جرى به القلم ليرتب عليه هذا الكسل .

وثانيا : أن أمر الله كان صريحا بالحث على الجهاد والاجتهاد تم توقيفه لقضائه على مدى هذا الجهاد والاجتهاد .

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (٦٩ ـ العنكبوت) .

فهنا رتب الله قضاءه بالهدى على جهاد النفس.. وجعل من عمل العبد مقدمة ضرورية لتوفيق الرب ولما سيجرى به القلم .

ولا نحصى الآيات التى نزلت فى الأمر بالعمل فهى مئات.. وما جاءت آية بالإيمان إلا وقرنته بالعمل الصالح.. الذين آمنوا وعملوا الصالحات.. ومنها الكثير.. بين صفحة وأخرى فى كتابنا الكريم.. فلا عذر لمن يلجأ إلى هذا التدليس .

وما أمر الله بالتواكل بل بالتوكل الذى يقتضى استفراغ الوسع وبذل الجهد قبل إخلاء الطرف والتسليم وطلب التوفيق من الله .

ولما سئل النبى عن القدر.. وقال له المسلمون.. ولماذا نعمل ما دام الله قد كتب لنا أقدارنا؟.. قال لهم النبى فى حسم:

«بل أعملوا فكل ميسر لما خلق له» .

أى على العبد أن يعمل ما وسعه العمل وعلى الله التيسير لكل نفس على قدر جهادها وعلى قدر لياقتها وما يصلح لها.. فكل واحد ميسر عند الله لما يصلح له .

وكانت الخطيئة الثانية هى مقولة السلف.. لا اجتهاد مع نص.. وهو

أمـر صريح بتعطيل العقل تماما وإعفائه حينما تـوجـد هناك نصـوص وما أكثرها.

وكانت نتيجـة هذه الوصية هى توقـف الاجتهاد لمدى قرون وتحول آيـات القرآن إلى حفـريـات متحجـرة محظور لمسهـا أو إعمال الفكـر فى معانيها ومـع أن النبى عليه الصلاة والسلام ضرب لنـا مثالا مختلفا فى آية قطـع اليد وهى نص صريح من نصـوص الشريعة لا استثنـاء فيه.. فـرأينا النبى لا يقطـع يدا فى الحروب وهـو استثنـاء لم يرد بـه النص، وضرب خليفته عمر بن الخطاب مثالا آخـر فلم يقطع يدا فى مجاعة وهو استثناء لم يرد أيضا فى الآية.. أعتمادا على صريح العقل الذى يقول : إن الجائع الذى يسرق طعامه غير ملـوم.. واعتمادا على أن قطع يد السارق المسلم فى الحرب سوف يـؤدى إلى منكر أسوأ مـن السرقة هو هـربه إلى صف الأعداء وتحوله إلى خصم لدود للإسلام بعد أن كان معه .

والفهم فى الحالين فهم عقلى.

وهو سنة صريحة تجعل من التفكير شريعـة واجبة ومن العقل حجة ملزمـة ومن أن تعطيل العقل غير إسـلامى بالمرة.. ومـا كان حقـا لعمر فهو حق لكل مسلم عاقل مجتهد .

والعقل لا يجوز تعطيله فى الإسلام إلا فى حـالة واحدة هى البحث فى ذات الله وحـديث النبى عليه الصـلاة والسـلام فى هذا الصـدد صريح.. «فكروا فى آيات الله وفى أعماله ولكن لا تفكروا فى ذات الله فتهلكوا » .

وهذا هو الاستثنـاء الوحيد.. والأمر الوحيـد بتعطيل العقل.. وقد قال به الفيلسـوف الألمانى «عمانويل كانت».. فى كتابـه نقد العقل الخالص.. حينما قـال أن إدراك كنة الله بـالعقل مستحيل.. لأن العقل البشرى ليس معـدا لهذا اللـون من الإدارك.. وإنما هـو معـد فقط لإدراك معطيـات الحواس ثم استنباط القوانين منها.. ولكنه غير معد لإدراك كنة أو ماهية أى شىء.

وفى كتـابـه الثـانى نقـد العقل العملى.. قـال: إنما نـدرك وجـود الله

بالبصيرة وليس بالعقل كما نرتب على إحساسنا بالعطش احتياجنا للماء وضرورة وجوده.. كذلك نرتب على شوقنا للعدل (مع عدم وجوده فى الدنيا) ضرورة وجود الاله العادل فى الآخرة.. وهو إدراك لوجود الله وليس إدراكا لماهيته ولا كنهه .

ويكون بذلك قد التقى التقاء تاما مع الحديث النبوى الشريف الذى جاء قبل «عمانويل كانت» وفلسفته بألف عام.. ونصح بعدم الخوض بالفكر أو بالعقل فى موضوع الذات الآلهية .

وهذا هو المجال الوحيد المحظور على العقل.. وفيما عدا ذلك فالعقل معد للتفكر والتدبر والإجتهاد فى فهم القرآن وفى تدبر شرائعه وفى كل شئون الدنيا .

ولكن المسلمين آثروا الكسل وآثروا إغلاق باب العقل فى كل شىء ومسحوا كسلهم فى الإسلام والإسلام منهم برىء .

ولم يقف كسلهم عند القرآن وآياته وإنما امتد إلى البيئة وإصلاحها وإلى الكون ومحاولة فهم قوانينه وإلى العلوم بكافتها وإلى السياسة والمجتمع والمرأة والحياة وإلى دنياهم كلها التى انحدروا بها إلى الحضيض .

وباستثناء نهضة محدودة فى صدر الإسلام ظهر فيها رواد عظام فى كل فرع من فروع العلم مثل ابن سينا فى الطب وابن رشد فى الفلسفة وابن إلهيثم فى الرياضيات وجابر بن حيان فى الكمياء والرازى فى الجراحة وداود الانطاكى فى الصيدلة وابن خلدون فى فلسفة التاريخ وابن بطوطة فى الجغرافيا والرحلات وغيرهم. عادت أستار الجهل والتخلف فانسدلت على الأمة الإسلامية وفتحت الباب لاستعمار غاشم مفترس اقتحم أراضى المسلمين وداس على مقدساتهم وقضى على ما تبقى من آثار إيجابية فى تاريخهم .

واليوم.. ونحن نحاول أن ننهض.. ونحاول أن نلحق بركب التقدم.. ويظن بعضنا من العلمانيين أن الإسلام عقبة.. ويصر البعض الآخر من

السلفيين على التحجير على كل فكر وعلى تعطيل العقل وتكبيله بالقيود.. والحق يقال إن هذا الفريق من المسلمين هم العقبة الحقيقية وليس الإسلام.. فالإسلام أطلق الفكر وفك العقل من عقاله.. وأكثر من هذا اعتبر العقل والحرية.. هما الأمانة التى فى عنق كل مسلم.. الأمانة التى قبلها كل البشر منذ العرض الأول الذى عرضه رب العالمين على خلقه .

﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (٧٢ ـ الأحزاب) .

لقد أخذ الإنسان الأمانة وهى أمانة عقله وحريته وقبلها على أن يعمل بها ويصونها .

وكان أكثر البشر خيانة لتلك الأمانة هم مسلمو هذا الزمان.. إذ لم يعملوا بها ولا حافظوا عليها.. فلا حرية فى أكثر دول الإسلام ولا ديمقراطية وإنما حكم طغاة وسيطرة أفراد وأحزاب وأهواء.. ولا علم ولا إبتكار ولا اختراع ولا استنهاض للفكر والعقل فى شىء.. ولا فكر مستنير حتى فى دينهم الذى تعللوا بصيانته والحفاظ عليه من تمرد العقل وانطلاقه.. وكانت ثرواتهم نكبة على إسلامهم .

وباستثناء عهود قصيرة وزعامات قليلة خيم الظلام والتخلف على أمة الإسلام.. وفى تسميتنا لها بالأمة الواحدة.. مجاملة.. فهم فى الحقيقة شراذم وجماعات لا رابط بينها.. والعداوات بينهم أكثر من الصداقات .

وقد ظهر هذا واضحا فيما جرى للبوسنة.. فلم تتحرك تلك الدول لنجدة الأخت المسلمة إلا كلاما وتصريحات وتبرعات وهى ما زالت تقدم رجلا وتؤخر أخرى وكأن ما يجرى للإسلام والمسلمين يجرى فى المريخ.. ولا يجرى على بابهم.

ولم يتخلف المسلمون لعجز فى امكانياتهم.. فما زالوا رغم تخلفهم.. أغنى أمم الأرض بالامكانيات وبكنوز الطاقة وبالخامات فوق الأرض وتحت الأرض وتحت البحر.. وما زالوا أغنياء بالأعداد البشرية وبالعقول الفذة .

ولكن الكارثة.. أن العقل الإسلامي مقيد.. والفكر مكتوف الأيدى والجامعة الإسلامية متحجرة واقفة فى مكانها.. ويقول الجهال من المسلمين: هذا ما جرى به القلم .

ونقول لهم: هو ما جرى للكسالى بسبب كسلهم.. وللسلبيين بسبب سلبيتهم.. ولا دخل للإسلام فيما جرى.. فهم الذين كتفوا إسلامهم بأيديهم وأطفأوا مصابيحه وهدموا مناراته .

اقرأوا قرآنكم من جديد بعقول متحررة وقلوب متفتحة .

وابحثوا فى سنة نبيكم عليه الصلاة والسلام.. فى سلوكه وفى أخلاقه وفى تفكيره وفى أحاديثه.. ولا تقفوا عند مواصفات جلبابه ولحيته.. فهذا لمس للمحارة دون اللؤلؤة .

أخرجوا اللؤلؤة من محارتها والجوهرة من كنزها والنور من القبو الذى أقفلتموه عليه .

كفاكم وقوفا وتحجرا عند هذا الإسلام السطحى المظهرى الذى يكتفى بالقشرة دون اللباب .

غيروا ما بنفوسكم حتى يغير الله ما بكم وانهضوا للعمل حتى يجرى عليكم القلم بما يرضيكم.. وأحبوا بعضكم بعضا حتى يجرى القضاء بما ينصركم.

هبوا من رقدة القبور .

فقد طال بكم النوم وأوشكتم على خسران دنياكم وآخرتكم.

وإلى الغاضبين لهذا النقد الذين يرددون قائلين:

ولماذا لا تذهب إلى الخليج لتشاهد إمارات كالجواهر وقصورا تدار بالريموت كنترول ومحطات أقمار صناعية وتكنولوجيا متقدمة وصناعات بترولية تسير وراء التكنولوجيا الأوروبية حذو النعل بالنعل.؟

أقول: هذه مدنية مستوردة وتكنولوجيا منقولة مشتراه وهى تسير

وراء أوروبا ولا تسير أمامها.. والذين نقلوها لهم ثوابهم وأجرهم وما فعلوه خطوة مشكوره.

ولكننى لا أتكلم عن مدنية بل عن حضارة.. والحضارة ليست قصورا بالريموت كنترول ولا عمارات كالعرائس تغازل العيون.. ولكن الحضارة فكر وفن وابداع واختراع واشعاع دينى وعلمى يغير التاريخ.. وهى أشياء لا تشترى ولا تستورد وإنما هى انفجار نووى سلمى محلى يضىء الأرض من حوله ويغير عقول الناس وعقائدهم وأحوالهم إلى الأحسن والأقوم .

الحضارة هى التى تخرج لنا أمثال نيوتن وأينشتين وماكس بلانك وبيتهوفن وهى التى تلد لنا أمثال غاندى وفولتير والمتنبى والبيرونى وابن الهيثم .

وقد صنعها الإسلام مرة.. ويمكن أنْ يصنعها مرة أخرى .

الحضارة هى ثمرة وجدان الشعوب وعقلها حينما يتوهج وليست وليدة ثراء يشترى مظاهر من هنا وينقل من هناك .

الحضارة مناخ حرية وفكر حر خلاق يحفز ويشجع ويخرج من الجماعات البشرية أحسن ما فيها .

والمدنية حكاية متاحة وسهلة.. وأغنياؤنا فى كل مكان يشترونها وينقلونها مشكورين.. ولكن الحضارة انبعاث أمة وميلادها وهى لا تشترى بمال الأرض وعنها أتكلم وفى همومها أعيش .

والنقل بداية طيبة وخطوة محمودة.. والغرب أبتدأ بالنقل عن علماء المسلمين.. وأفلاطون وأرسطو جاء على مصر ودرسا فى جامعة أون فى عين شمس ونقلا عن الحضارة الفرعونية القديمة علومها وتوحيدها قبل أن تكون لهما مدرسة فلسفية مستقلة ومنارة فكرية أضاءت على العالم من أثينا القديمة.. والحضارات تتلاقح وتتزاوج وتنجب وأحيانا تتصارع وتتقاتل وتصاب بالعقم.

وأخشى أن يحدث هذا فى عصرنا.. وأسوأ استعمال للإسلام فى عصرنا ولا شك هو ما فعله الإرهابيون الذين وضعوا على جرائمهم بطاقة الجهاد الإسلامى وذهبوا يقتلون ويخربون ويدمرون ويفسدون بإسم الدين والدين يلعنهم .

والتاريخ حركة لا تكف عن الصعود والهبوط والجريان فى القنوات التى يشقها العقل فسادا وصلاحا .

وكل ما أرجوه أن يكون لنا نصيب فى هذه الحركة بما نملك من صرافة الوحى ومن ديانة ولادة وبما نملك من عراقة وأصالة وتاريخ ارتوى من حكمته الأنبياء ، وليس بالرجاء وحده سوف يكون لنا صوت، وإنما بكفاح وعرق آلاف من أبناء هذه الأمة الذين سيضعون بكفاحهم الأساس .. لتقوم عليه بعد ذلك الحضارة المرجوة.. وتضىء المنارة التى طال إنطفاؤها .

انهضوا وفكوا عنكم قيودكم وفكوا عن هذا الدين قيوده .

أطلبوا المعالى بالسهر والعرق والكدح وليس بالإسترخاء أمام التليفزيون وقراءة البخت فى الجرائد والبكاء على المكتوب يرحمنا الله ويرحمكم الله .

نعـــم.. أنا لا أرى البوسـنة تمـوت .. بل أراها تولد .. تولد من مخاض الآلام والحروب ومن صهير المحن والبلايا.. تـولد طاهرة مضيئـة لتكون إسلاما جديدا ربانى الجذور محمدى الملامح.. وشمسا تطلع من الغرب على الجانب المظلم الوثنى من العالم.. وأرى فى على عزت بيجوفتش وحـارس سيلايديتش وشـاكر بك وفى شـامل باسييف البطل الشيشـانى الـذى أنطلق يحارب المستحيل وقـد عصب رأسه بعصـابـة لا إله إلا الله.. أرى فى هؤلاء.. الصحابة الجدد الذين قال عنهم نبينا أنهم يظهرون فى آخر الزمان.. الواحد منهم بخمسين من الصحابة الأول .

وحينما يسأل الصحـابـة القـدامى النبى فى دهشـة.. بخمسين منـا يـارسـول الله.. يقـول : نعم.. بخمسين منكم.. فأنتم تجدون على الخير أعوانا.. أما هم فلا يجدون على الخير أعوانا .

وقد تحققت كلمات الرسول عليه الصـلاة والسلام بحذافيرها فرأينا فتيـة يصمـدون فى حـرب مـع المستحيل ثـلاث سنـوات لا يجدون من إسـلامنا المتخـاذل إلا كلامـا بينما تتكاتف عليهم دول الـوثنية الماديـة مسلحة بالـدبابات والمدافع والهاونات والصواريـخ وتمطرهم بوابل من الموت والدمار وتغـزوهم جحافل الظلم والبربرية فلا تتحـرك من جانبنا إلا إذاعات وتصريحات وعلى الأكثر تبرعات .

وذلك إسلامنا الصـورى بطول وعرض أمتنا العـربية وشريعتنا التى أفرغت من الرحمة والمعنى .

وذلك إسـلامهم الحى المنـاضل الـذى يقطـر دمـا وصدقـا وثبـاتـا ورجولة .

ولن يخذل الله هـؤلاء الفتيـة أبـدا وسـوف يثيبهم وينصرهم.. لأنهم رجـاله بحق.. وسـوف تولـد الجمهوريـة الفاضلـة التى عجزت فلسفـة أفلاطـون عن خلقها فى اليونان القـديمة.. سوف تـولد بوسنا جـديدة فى الجوار اليوغوسـلافى فى قلب أوروبا الوثنية لتكـون نورا يشع على العالم الجديد.

إن الخزى الذى أراه على وجوه حكام أوروبـا وهم يحاولون اختلاق الأعـذار والتماس المبررات وكل منهم يلقى بالمسئوليـة على الآخر وقـد وزعـوا بينهم الأدوار ليقـول أحدهـم نفعـل ويقول الآخـر لانفعل.. وقـد ظهر التآمر على وجوههم الصفراء وبدت نـواجذهم تقطر حقدا.. وأتذكر ما قال الله فى قرآنه

﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾.

وإنهم لكذلـك.. هم فى المقدمـة والتنظيمات الصهيونيـة فى المؤخرة فى مقاعـد صنع القرار حـول كل حـاكم.. ألم تنشر الجرائد الفرنسيـة أيام حكم ميتران أن كل مستشاريه من الماسون.

إن ضرب الإسـلام فى أوروبا مقدمة لضربه فى بلادنا العربية.

هناك على يد الصرب وهنا على يد إسرائيل.

وكالعادة تسبق جراحات البتر.. عملية التخدير والبنج.

والاسم الحـديث للتخديـر قبـل البـتر .. هـو محـادثات السـلام والـ Peace process

ونحن غرقى فى الـ Peace process وفى النوايا المعسولة.. وفى غيبوبة من الطبل والزمر والانفجار السكانى وكفـاح لقمة العيش وفوائد الديون وصندوق النقـد الدولى وفى الإرهاب والفتن التى حفروهـا بيننا وبين كل دولة من دول الجوار.

وأصدقاؤنا الذين يمدون إلينا الأيدى بالسلام ليسوا أصدقاءنا بل أعداءنا.. وهذه أخلاقهم فى أوروبا مع قلة بوسنية لاخطر منها.. وليس فيها أصولى متطرف واحد ولا إرهابى متهوس ولا رجل ملتح ولا امرأة منقبة.. وإنماهى قلة من المسلمين الخواجات.. ولكنه الرعب.. الرعب من انهيار الأرض التى يقفون عليها، فالمسيحية تنهار فى أوروبا والكنائس تباع بالمزاد لتتحول إلى نواد ليلية والشباب ينصرف إلى الرقص والمخدرات والعلاقات الجنسية الحرة وبابا الفاتيكان يتجه إلى أفريقيا يأسا من أوروبا وشبابها.

وفى هذا الانهيار العقائدى العام يتسلل الإسلام إلى القلوب.. ويدخل فى الإسلام عشرين ألف شاب وشابة سنويا فى إنجلترا فى آخر إحصاء بريطانى.. وفى أمريكا خمسة أضعاف هذا العدد.. وتلك مأساتهم.. ولا حل لها فى نظرهم سوى توجيه ضربة إلى الإسلام تسدد إليه فى القلب وهو ضعيف وفقير وممزق لتنتهى القضية برمتها.

ونحن شهود هذا التآمر.

وسوف نكون شهودا لهذا العدوان المقبل.

وأرجو ألا يأخذ حكامنا حكاية السلام مأخذ الجد.. وإذا كانت تمثيلية السلام لامفر منها.. فإن التطبيع العاجل ليس له مبرر واحد.. والراحل أنور السادات الذى بدأ السلام لم يأخذ خطوة واحدة فى طريق التطبيع رغم الضغوط عليه من كل جانب.

ولينظر رجلنا الحصيف عمرو موسى إلى مايجرى فى البوسنة قبل أن يقول نعم.. فى أى شىء.

وليتذكر رئيسنا أن الرصاص الذى انطلق عليه فى أرض حبشية وبتسهيلات سودانية .. وبأيد مصرية ليس إلا الواجهة الظاهرة.. أما ماوراء الواجهة.. فتنظيم أجنبى عالمى ومدد غزير وسخى من الملايين من الأصدقاء الأعداء.. والمدد مستمر.. وهو يزداد سخاء وإصرارا يوما بعد يوم.. بل إن السودان ذاتها ضمن من شملته الرشوة والعمالة.

وقد تكون اليد التى ترشو عربية والخزانة التى تغدق أجنبية

والرصاصة التى تنطلق مصرية.. وكل شىء جائز فى الشبكة العنكبوتية التى وقعنا فيها.. ولكن الظاهر دائما لايدل على الحقيقة.

وإذا أردتم الحقيقة.. انظروا إلى مايجرى فى البوسنة.. فهناك فى العراء.. انكشف كل شىء.. وافتضح الأعداء بحق.. وعرفوا.. دولة.. دولة.. وواحدا واحدا.

إن البوسنة هى الملحق التفسيرى لكل مايجرى فى العالم.. فليس فى تلك القلة البوسنية مايخيف.. ولا ما يبدو خطرا على أوروبا المسلحة حتى الأسنان.. ولكن الإسلام نفسه هو الدين المرفوض والمخيف.. وأن تكون لهذا الدين دولة ولو بضعة ألوف ولو فى رقعة من بضعة هكتارات فى القارة الأوروبية العريضة هو الأمر المستحيل.

وهذا الخوف الموجود من قديم تنفخ فيه القوى الصهيونية الآن وتبالغ فيه وتصنع منه هدفا للحرب المشهرة وشعارا للعصر.. وذلك لاستثماره فى خطة أبعد هى بناء دولتها الكبرى.. وهى تعلم أنه لن تكون لهذه الدولة الكبرى قيامة إلا بعد إزاحة الإسلام وإضعافه وتخريبه.. ومن خلال هذا المنظور يمكن أن نفهم كل مايجرى على الساحة الدبلوماسية من نشاط سلمى وعدوانى وكل مايجرى فى الخلفية من إرهاب وجرائم وتشويه للإسلام والمسلمين.. وكل مايدفع من مليارات ولماذا يدفع بهذا السخاء ولمن يدفع وكيف يدفع.؟

وقد يسأل سائل.. ولماذا كل تلك المساندة المبالغ فيها للطرف الإسرائيلى بالمال وبالسلاح وبالدعم السياسى.. ألا يبدو الأمر غير طبيعى؟!!

وهو بالفعل غير طبيعى والسبب أن الولادة المنتظرة ولادة غير طبيعية والمولود به عيب خلقى.. فإسرائيل الكبرى التى سوف تولد ليست كبرى.. وإنما هى قزم سياسى نفخ فيه ليكون عملاقا كاذبا وبالتالى سوف يحتاج إلى ولادة قيصرية أو ولادة بالجفت ولابد من التغطية على الخدعة بإطلاق الشعارات ودق الطبول وإشعال المباخر والمجامر وإنفاق الأموال فى الدعاية الكاذبة وتكديس الترسانات النووية

والكيمائية والميكروبية والتخويف بالموت والدمار طول الوقت لكل من يقترب أثناء الولادة العسرة.. ولابد من التضليل والتعتيم على الحقائق وخلق جو إرهابى كهنوتى ماسونى وبناء هيكل أسطورى.. لأن هناك أسطورة كبرى سوف تولد اسمها إسرائيل.

ولكن القزم الذى سوف يولد محكوم عليه بالموت رغم كل أساليب الإنعاش والعناية المركزة والأموال والتضحيات والفتن والدم والخراب الذى سيتكلفه العالم ليحمى ذلك الميلاد.. وتلك إرادة الهية لامهرب منها وقضاء قضاه الله فى كتابه.. فقد قضى الله أن تكون هناك إفسادتان وعلو كبير لإسرائيل.

أما الإفسادة الأولى فقد كانت فى زمن الرسول عليه الصلاة والسلام حينما حرض اليهود جميع القبائل لقتال المسلمين فى غزوة الأحزاب وأوشكوا على القضاء على الإسلام فى مولده لولا أن أرسل الله ريحا عاصفة شتت شمل القبائل المقاتلة ومزقت خيامهم وكفأت قدورهم وأعادتهم مرعوبين من حيث أتوا.

وتأتى الافسادة الثانية بعد أربعة عشر قرنا من الأولى وفى زماننا وعلى نفس النسق بتحريض المجتمع الدولى كله على الإسلام والدفع بجيوشه فى كل مكان لقتال المسلمين فى البوسنة والشيشان وكشمير وأفغانستان والفلبين وبورما وفلسطين .. وذلك بعد دعاية منظمة لوصم الإسلام والمسلمين بالبربرية والإرهاب.

ثم سوف يأتى التتويج النهائى لهذا الإفساد بتحريض جيش متعدد الجنسيات والدفع به لغزو وإرهاب المنطقة العربية.. وهنا سوف يأتى التدخل الإلهى الثانى وتأتى كلمة الختام للجماعة الباغية فيقول القرآن:

﴿ فإذا جاء وعد الآخرة (أى ميقات الإفسادة الثانية) ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا﴾

أى ليدخل المسلمون القدس كما دخلوها أول مرة ويدمروا كل ماشيدت إسرائيل من هياكل وكل مارفعت من بناء.

ولايكشف لنا الله كيف سيحدث هذا.. وكيف ستنقلب الكفة فتنهزم

الكثرة أمام القلة.. ولاكيف ستنهزم الترسانات الهائلة أمام السلاح القليل.. ولكن يبدو أن رجحان الكفة سيحدث كما حدث فى الإفسادة الأولى بتدخل إلهى، وكما حدث مع أفيال أبرهة التى جاء بها الغزاة من الحبشة لهدم الكعبة فأرسل عليها الله الطير الأبابيل.. وكما نصر الله نبيه بالرعب فى غزوة بدر.. فهكذا كانت تأتى النجدة الإلهية كلما اختلت الموازين وكلما طغت الكثرة الباغية على القلة الصابرة المناضلة من المؤمنين.. حينما يستنفد المؤمنون كل طاقتهم وحيلتهم.

وحينما يأتى الأوان ليكتب التاريخ فى المستقبل وتدون الملحمة بكاملها سوف يذكر المؤرخون ماحدث فى البوسنة كعلامة مضيئة وفصل من فصول النضال الباهر ومقدمة كانت يجب أن تنبه المسلمين إلى مايدبر لهم.. ونذير كان يجب أن يلفت نظرهم ويفتح بصيرتهم على مايخبىء لهم الغيب.

وهانحن أولاء شهود تلك العلامات والنذر نرى مايجرى فى البوسنة يوما بيوم.. فهل انتبهنا.. وهل أدركنا مايدبر لنا.. وهل أبصرنا مايخبىء لنا الغيب أم مازلنا أنصاف نيام فى غيبوبة الطبل والزمر؟!

عجيب أمرنا نحن المسلمون.. نعبد الها واحدا.. ونطوف حول كعبة واحدة.. ونتوجة فى صلاتنا إلى قبلة واحة.. ونصطف فى المسجد صفا واحدا.. ونقول جميعا.. آمين.. فى نفس واحد.. ومع ذلك لكل منا إسلام خاص به يختلف عن إسلام الآخر.. وكل منا يفهم الإسلام على طريقته ويباشره فى حياته بمفهومه الخاص .

وقد تفرقت الجماعة الإسلامية إلى سنة وشيعة وأباضية ودروز، بل إن الشيعة نفسها تفرقت إلى زيدية واثنا عشرية وإسماعيلية وعلوية وبهرة وبكتاشية وخرج منها غلاة عبدوا عليا ورأوا فيه ابنا لله واعتقدوا أن الرسالة أخطأته ونزلت على محمد، والأكثرية التزمت جانب الأعتدال وقالت: بل كان أولى بالخلافة.. ولم تزد.. وبين هؤلاء وهؤلاء تعددت الفرق.

وبعيدا عن الطرق والمذاهب اختلف الناس بين مدخلين للإسلام.. المدخل السلفى الأصولى، والمدخل الصوفى.

وفى المدخل السلفى تمادى الأصوليون فى الشكلية وفى الألتزام الحرف بالنصوص وفى ظاهرة سلوكيات المسلم.. طريقة إطلاقه للحيته وتقصيره جلبابه.. وللمرأة نقابها وحجابها.. وفى الشريعة طبقوها فى صرامة دون محاولة للفهم وللتعمق فى مقاصد الشريعة ذاتها.. بينما اهتمت الصوفية بتطهير الباطن ومجاهدة النفس وبالتربية الخلقية وتحصيل المقامات.. مقامات التوبة والأخلاص والصدق والصبر

والشكر والمراقبة والمحاسبة والتقوى والورع.. وتركت الظاهر لأهل الظاهر وقالوا: نحن عمدتنا القلب وغايتنا اللب وليس القشر .

والكل مسلمون ولكن شتان بين فهم وفهم .

وأنا أرى الآن أن القرآن لم ينحصر فى أى من هذين المسلكين بل كان فى مجموع آياته يمثل الوسط العدل بينهما والجامع الأمين بين طهارة الظاهر وطهارة الباطن.. وأن المذهبية والحزبية أفسدت الإسلام تماما .

والقرآن فى مجموع آياته شىء غير القرآن فى آية واحدة مبتورة من سياقها أو بضع آيات نزلت فى مناسبة أو حكم متشدد نزل فى ضرورته.

ولا يمكن فهم الإسلام إلا من خلال القرآن كله بمجموع آياته.. فهو يفسر بعضه بعضا وما غمض فى آية توضحه آية أخرى وماأجمل فى آية تفصله آية ثانية .

والتشديد لا يجىء فى القرآن إلا لضرورة.. أما السياق القرآنى العام فهو سياق عفو ومغفرة وسماحة ويسر .

﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾ (٧٨ ـ الحج) .

﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ (١٧ ـ الحج) .

وسلوك النبى عليه الصلاة والسلام وهو المؤشر إلى التفسير الصحيح للقرآن هو الحلم بعينه وهو المنهج السهل بعينه، لا تزمت ولا تشدد ولا تنطع ولا وقوف عند الفهم الحرفى للنصوص.. وكمثال حكاية الرجل الذى جاء يروى للرسول كيف اختلى بأمرأة ونال منها ما يبتغى «دون إدخال» ودون مباشرة.. فأطرق النبى عليه الصلاة والسلام ولم يعلق وقام للصلاة فنزلت الآية .

﴿وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ (١١٤ـ هود) فنصح الرجل بالصلاة والإكثار من النوافل .

ولم يقم عليه النبى حد الزنا رغم اعترافه واعتبر ما حدث من «اللمم» أى الذنوب التى تغفر والتى تجبرها الصلاة والتوبة .

ويذكرنا هذا بالمسيح عليه السلام حينما رفض أن يرجم «المجدلية» الزانية وقال لمن حوله : من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر .

ولم يشهد المسيح ولا نبينا عليه الصلاة والسلام من بعده ذلك العصر الردىء الذى نعيش فيه والذى تدعو فيه أجهزة الإعلام وأغانى الإذاعة وأفلام السينما وتمثيليات التليفزيون إلى العلاقات الحرة، والأقمار الفضائية التى تباشر الزنا علنا وجهارا نهارا وتغرى الشباب بالصورة والكلمة والحركة إلى المسارعة فى قضاء الشهوات وإلى التسابق فى المتع الحرام .

ماذا يكون موقف الشريعة من هذا العصر الذى شاعت فيه البلوى؟!!

وماذا يفعل الشباب.. والزواج بعيد المنال.. هل يدخل فى جب تحت الأرض؟!!

وهل شبابنا فى هذا الحال جانيا أم مجنيا عليه؟!!

وفقة شيوع البلوى له مكان فى شريعتنا.. عملا بالمبدأ القرآنى.. حينما كانت الخمر بلاء شائعا فى أول الدعوة فنزلت الآيات مخففة تعاتب شارب الخمر ولا تغلظ عليه وتتدرج فى التحريم على مراحل.. ويذكرنا هذا بالفقيه الإسلامى الذى سألوه أن يقيم حد الخمر على الحاكم التترى (وذلك بعد إسلامه) فرفض وآثر تركه فى غيبوبة السكر ليكف ظلمه عن الناس . وقال : إن تطبيق الشريعة عليه وامتناعه عن الشرب وعودته إلى وعيه وعافيته سوف تؤدى إلى منكر أشد بعودته إلى جبروته وظلمه .

وفى هذا يقول العوام :« نوم الظالم عبادة » .

ومنذ ذلك اليوم سارت كلمة الفقية مثلا.. وأصبحت مبدأ مقررا من مبادىء الاجتهاد له أنصاره.. إنه إذا أدى تطبيق الشريعة إلى منكر أشد كان عدم تطبيقها أولى.. وأنه لابد من فهم الشريعة الإسلامية فى

إطار مراد الله بها وقصده من نزولها وهو صلاح أمر العباد وليس شقاؤهم .

فالله يقول: ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾.

هكذا كان شأن الاجتهاد عند المفسرين الأوائل.. وهكذا كان شأن العقل والفهم والتدبر والتفكر.. ولم يظهر التشدد والتحجر والانغلاق على الألفاظ.. إلا مع قرون التخلف وتوقف الإجتهاد وظهور الدعوات الأصولية التى تزايد على بعضها ويسابق بعضها بعضا فى الغلظة وفى الرجم والجلد .

وليس فى كلامنا تهوين من أمر الشريعة فهى حبة قلب المسلم وسواد عينه ولا يملك المسلم العابد أمام كلمة ربه إلا السمع والطاعة.. وإنما هى الغيرة على الكلمة وقداستها من أن تُفهم على غير وجهها وتُستعمل فى غير حقها فتكون ذريعة إلى ظلم برىء.. بل نحن أشد حبا للشريعة من الذين يطبقونها فى عمى.

ولقد تكاثر دعاة الأصولية الغلاظ وتنافسوا فى القسوة وفى مطاردة المسلمين وإرهابهم بالنصوص حتى نفروهم من دينهم .

ولكن رحابة القرآن وآفاق رحمته تجاوزت كل هؤلاء ولم تنزل آية رجم واحدة فى القرآن كله رغم حمل القرآن بشدة على الزانى والزانية ونزول حد الإيذاء وحد الجلد وحد السجن وتبشيع القرآن للفاحشة ومرتكبها.. وترك الله الأمر لاجتهاد العقول ولاختيار الأصلح فى كل عصر مع ضرورة العقاب فى جميع الأحوال.. وقال فى قرآنه: ﴿اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم﴾ .. وذلك ليفتح الباب للتأمل والتفكر والتدبر واختيار الأحسن بين الآيات المتعددة.. وكلها حسن، ولكن المقصود من الأحسن ـــ والله أعلم ـ هو الأصلح لكل عصر.. والله يعلم مسبقا ماذا سيكون شأن هذا العصر الذى نعيشه من شيوع البلوى فيه ومن انتشار الفساد والفقر والبطالة والانحلال وتكالب الأعداء على الإسلام من كل جانب وهوان حال المسلمين وانقسامهم وتشتتهم وبوارهم .

وكل هذا يكشف عن عمق القرآن ورحابته وتعدد آفاقه بحيث تغطى

آياته التشريعية كل العصور.. ويكشف عن روح التسامح وإيثار العفو وإيثار فهم التشريع على الوجه الأصلح لحياة المسلمين .

وهو يكشف أيضاعن المرونة وعدم الجمود ورفض الغلظة إلا فى ضرورتها القصوى حين يقتل القاتل ظلما وبغيا فيتوجب القصاص.. ولهذا اختلف الناس أمام فهم القرآن وانعكست نفس كل قارىء فى لون تفسيره.. فغلاظ القوم لم يشهدوا من القرآن إلا آيات النكال.. والرحماء شهدوا رحابة التشريع وانفساح آفاق التفسير أمام الفهم الأرحب والأرحم.. واختلفوا والكتاب الذى يقرأونه واحد.. وما اختلفوا بسبب الكتاب بل بسبب نفوسهم.. وهذه مشكلة الحكومات الأصولية والفرق المتشددة.. ومرضى النفوس ومرضى القلوب وهواة التشفى من كل جنس .

ولقد نزلت الآيات بهذا التلوين لتمتحن القلوب ولتمتحن النفوس ولتختبر المعادن.. والقرآن هو الشاهد على الكل وهو الحجة ولا يصلح القرآن ذريعة لظلم أو جبروت بل هو قاموس الرحمة بعينه .

والمختلفون من أهل الشقاق والنفاق شهدت أعمالهم على كفرهم.. فما اختاروا بغلظتهم القرآن حكما بل اختاروا نفوسهم.. وآثروا رغباتهم الأنتقامية واتخذوا من القرآن ستارا وذريعة لقساوتهم .

وصدق الله العظيم فى خطابه لرسوله :

﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ (٢ ـ طه). فالقرآن هو الباب إلى النعيم ولا يمكن أن يكون بابا للشقاء ولا بابا لكل هذا الخلاف والفرقة والأنقسام.. ولا بابا لكل هذا الإرهاب والأجرام والقساوة.. وإنما اختلفت النفوس التى تقرأ وتفهم وتفسر.

ولهذا قال ربنا عن قرآنه: ﴿يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين﴾ (٢٦ـ البقرة). وما أكثر فساق ومجرمى هذا الزمان الذين اتخذوا من القرآن ذريعة لإجرامهم وستارا لإرهابهم .

وهؤلاء هم الذين أضلهم الله بقرآنه.. وكشفهم أمام الناس وأمام نفوسهم وفضح ضلالهم وكفرهم .

ولا مفر مـن الأختلاف بحكم اختـلاف النفوس واختـلاف الطبائع.. قال ربنا عن الناس:

﴿ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولـذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾(١١٨ ـ ١١٩ـ هود) .

وهـذا الاختـلاف أزلى من قبل أن تـولدالنفـوس وتجىء إلى الـدنيـا، وسببه ثبوت وصف تلك النفوس فى علم الله من الأزل، وهذا الوصف هو ما أرادتـه النفوس لنفسها أزلا وليـس ما أراده الله لها .فالله لا يـريد إلا الخير لكل الخلق. ولقد فطر البشر على الحريـة والاختيار وكانت النتيجة أن اختلفوا حسب أهوائهم .

قال ربنـا.. ولذلك خلقهم.. ليميـز الخبيث من الطيب ولتكـون خاتمة كل مخلوق على وفاق نيته .

وكانت العـاقبة فى النهاية أن امتلأت بهم جهنم ولم يـدخل الجنة إلا القليل، واستلـزم الأمر الفـرز والتصنيف وتفـاضل الرتب والمنـازل لأن هذا كان مقتضى العدل والله أعدل العادلين .

وكان البـديل الآخر أن يستـووا عند الله رغم اختـلافهم.. أن يستوى القاتل والقتيل والظـالم والمظلوم.. وأن يستوى البر والفاجـر ،وأن يقدم الله للجميع حفلة شاى فى الآخرة احتفالا ببعثهم.. وهو الأمر المحال .

تعالى ربنا عن مثل ذلك العبث علوا كبيرا .

قال ربنا: ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾ .

ومعنى ذلك أن داخل الجنة لن يدخلها بعمله بل بفضل الله ورحمته .

وتلك هـي النسمـة الـربيعيـة الجميلـة التى تهب من أول صفحـة فى القـرآن إلى آخـر صفحـة.. مـن أول مفتتح الفـاتحة.. بسـم الله الـرحمن الرحيم.. إلى آخر كلمة.. والحمد لله رب العالمين.. بعد أن يتم الحسـاب .

ولقد اختار ربنـا لرحمته من استحقها من الخلق.. وهـو أعلم بقلوب خلقه ولولا رحمة ربك لهلكنا جميعا .

وبين النـار والجنـة ذلك الخيـط الـرفيع بين المؤتلف والمختلف.. بين الذين أسلموا للحق وانسجموا معـه فى كتيبة الخير.. وبين الذين أعرضوا

وتفرقوا واقتتلوا.. وليس بالشعارات ولا بالبطاقات سيكون الدخول للجنة فما أكثر الذين حملوا شعار لا اله إلا الله وخانوه وحملوا بطاقة المسلم ولم يسلموا لشىء سوى هوى نفوسهم .

وتظل الوسطية والأعتدال هى النغمة القرآنية السائدة من أول آياته إلى آخرها والذين تطرفوا فى الأخذ بالظاهر والذين تطرفوا فى الأخذ بالباطن إنما أخذوا من القرآن ما ناسبهم ولم يأخذوا به كله .

ومحمد عليه الصلاة والسلام وهو القرآن الحى الذى يمشى على الأرض ماعرفناه إرهابيا ولا عرفناه مجذوبا غائبا عن الوعى فى سكرة الوجد مثل مجاذيب الطرق الصوفية ، إنما عرفناه يقظا منتبها حاضر الذهن عقله مع الناس وقلبه مع ربه يعيش الواقع ويلتحم بالدنيا ومع ذلك لايغفل عن خالقه لحظة..

وذلك هو الصراط المستقيم.. لايمين فيه ولا يسار.. بل خط رفيع كالسيف.. من أصابه فقد عرف جادة الإسلام.. ولهذا جعله الله أسوة لنا جميعا واختاره قدوة ومثالا.. وأرسله نبيا.. وقال له ما لم يقل لرسول.. وإنك لعلى خلق عظيم.. فمن أصاب تلك الوسطية العظمى فقد أصاب حظا من ذلك الخلق العظيم.. ومن أخطأها فهو مسلم بقدر اقترابه من هذا الوسط الأمثل وهو صاحب الأخلاق بقدر حظه من الاعتدال.

والأخلاق فى أصلها هى الأسماء الحسنى لله.. الكريم الحليم الرحيم الودود الرؤوف الصبور الشكور البر العفو الغفور الغفار الرزاق الحكم العدل النافع الهادى الرشيد.. فكل هذه أخلاق مثلى.. ولله المثل الأعلى.. وبقدر مايحصل العبد من هذه الأخلاق يكون عند الله عبدا ربانيا ويكون عند الله مسلما حقا.

وفى الحديث.. «تخلقوا بأخلاق الله إن ربى على صراط مستقيم».

وجمعية تلك الأخلاق هى الأصولية الحقيقية فى ديانتنا إلى جانب الإسلام لله فى كل شىء وتوحيده وتمجيده وتسبيحه وعبادته وطاعته والإيمان بكتبه ورسله والقدر خيره وشره والآخره والبعث والحساب..

هذه هى الأصولية ولا دخل لها بإرهاب ولا بتطرف ولا بمظهرية كاذبة ولا بشكليات فجة.

ويجمع النبى عليه الصلاة والسلام كل هذا فى جملة واحدة:

« قل : لا إله إلا الله ثم استقم » .

فيضع كل مكارم الأخلاق تحت كلمة الاستقامة وكل مقررات الإسلام فى كلمة لا إله إلا الله.. وذلك للتأكيد على أن الإسلام دين فطرة وبساطة وليس دين فلسفة وحذلقة وتنطع وجدل.. فالأمر أبسط من كل هذا.. بل هو ثلاث كلمات.

وأصحاب النيات السليمة يفهمون هذا ببداهتهم ولا حاجة لهم بجدل ولا بتنطع وأصحاب النيات الخبيثة.. المشكلة فيهم وليست فى الدين.

وبين الاثنين ذلك الخيط الرفيع بين الجنة والنار.

ولذلك قال ربنا فى أهل الجنة.. ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ (أى عن النار مبعدون).

كان هذا أمرا سبق نزولهم إلى الدنيا وهم مجرد نفوس.. سبقت لهم من الله الحسنى بناء على علمه بنياتهم من الأزل ومن قبل أن ينزلوا إلى عالم الامتحان والابتلاء ودنيا أسفل سافلين.

هم إذن أهل الجنة من قديم والآخرون أهل النار من قديم.. وإنما قضى الله بالامتحان والابتلاء حتى تنقطع الحجة.. وحتى لايكون لأحد عذر.

ويبقى بعد ذلك السؤال.. كيف كنا فى ذلك الأزل قبل الخلق وكيف تفاضلنا.. ومتى وأين؟

أم أنه لا أين ولا متى فى الأزل.. حيث لاحيث.. وحيث لامكان ولا زمان.. تلك من أسرار الغيب التى لايعلمها إلا الله.. ولن يكشف عنها الستار إلا بعد الموت والبعث.. والعرض مستمر.. والقصة ممتدة فصولا.. وفيها مصيرنا كله.

وضعوا أيديكم على قلوبكم.. فليس الأمر بالهزل.

يقــول الله فى حديث قــدسى ..الاحســان كان قصــدى من الخلق.

وموضــوع القصد من الخلـق كان دائما محل سؤال.. لماذا خلقنا الله.. ولماذا خلقنـا على هـذا الإختـلاف فى النفــوس والأبـدان والطبـائع والمقادير.. ولماذا خلق هذه الدنيـا بحروبها وشرورها، وما الحكمة فى كل هذا؟!

والأصل فى القضيـة أن الله لايسأل عما يفعـل.. وأن مـا فى نفس الله من مقاصد هى أسرار لانعلمها.

يقول المسيح عليه السلام لـربه.. ﴿ سبحانـك مايكـون لى أن أقول ماليس لى بحـق إن كنت قلته فقد علمتـه تعلم مافى نفسى ولا أعلـم مافى نفسك﴾ (فما بنفس الله لايعلمــــه إلا الله).. ولماذا خلـق الكـــون بهذه الصــورة والناس بهذه الطبيعـة.. هذا شـأنـه.. ولكن لنا مـدخل فى الفهم والمدخل الوحيـد إلى تلك القضية هو مـاقال الله عن نفسه فى القـرآن وما ذكره فى أحاديثه القدسية.

ويتفق القرآن والحديـث على أن مقصود الله من الخلق هـو الإحسان والإنعـام والإكــرام والعطـاء.. وذلك بحكـم أسمائه.. الخلاق والـرزاق الوهـاب الحليم الرؤوف الـودود الرحمن الـرحيم السميع البصير العليم العفـو الغفـور البر التواب الهادى المغنى المعـز البـاسط الـرافع المجيب الفتاح.

وتقتضى تلك الأسماء من الله الكرم والإحسان والإنعام والعطاء والرحمة والمغفرة لخلقه.

وبحكم ما نفخ فينا الله من روحه يصبح لنا نصيب من تلك الأسماء.. فيصبح كل منا سميعا بصيرا عليما كريما رحيما هاديا خلاقا رزاقا حليما رؤوفا ودودا على قدر استعداده وعلى قدر بشريته.. ونأخذ هذا النصيب إنعاما منه وإحسانا وتفضلا وكرما.

وإنعام الله علينا بالوجود والرزق والقوت هو إحسان عام يشترك فيه المؤمن والكافر. ومن يستحق ومن لايستحق فالشمس تطلع لتدفئ الجميع والمطر ينزل ليسقيهم ويروى زروعهم والهواء بما فيه من أوكسجين متاح مجانا للكل لا يمتنع على كافر ولا يحتبس على جاحد ملعون.

وتبقى بعد ذلك الأسماء الجلالية لله.. وهى الجبار والمتكبر والقابض والخافض والمانع والمذل والمنتقم والمهيمن. يتعامل الله جل جلاله بها مع مقتضيات الشر فى الوجود.. ومع الجبارين والطغاة والظالمين.. ليحفظ التوازن ويقيم العدل مع خلقه .

وقد جاء الشر فى الوجود بالضرورة وبحكم الحرية التى أتاحها الله للإنسان وبحكم استخلافه وتسليمه الأمانة ليتصرف ويحكم بمقتضى : ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾.. ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم﴾ .

ولو أنه أكره الكل على عبادته وقهرهم على صراطه المستقيم لما كانت هناك فضيلة يستحق أن يثاب عليها أحد ولما استحق المؤمن جنة على إيمانه ولا الكافر عذابا على كفره ولما كانت هناك حكمة للحساب ولا للبعث ولا للآخرة أصلا .

وإنما اقتضى العدل الإلهى أن تكون هناك حرية واختيار وابتلاء وامتحان لكل مخلوق .

واقتضت اختياراتنا الحرة أن نختلف ونفترق شعوبا وأحزابا وأن تختلف بذلك مقاديرنا وحظوظنا تبعا لتباين صفاتنا .

وأيضا اقتضت الحرية الخطأ واقتضى الامتحان إمكانية السقوط والنجاح .

وبالتالى الشرور بأنواعها.. وقدر الله لهذه الشرور دنيا لها بداية ونهاية وزمن محدود لحياتنا تطوى بعده أعمارنا وتقام الموازين ليكون بعدها آخرة.. الإنعام فيها دائم للأخيار. والحرمان دائم للأشرار.. بناء على ثبوت تلك الأوصاف لكل من اتصف بها. وفى جميع الحالات يكون هذا الاحسان والحرمان خيرا كله لأنه العدل والقسط.. والعدل هو حسن الختام وهو الخير كله.

يقول الله فى قرآنه : ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير﴾ (ومعنى ذلك أن جميع هذه الأعمال خير.. الاعزاز والاذلال هما عين الخير لأنه العدل والقسط والمقام المناسب لأهل العز وأهل الذل.. لكل ما يناسبه ولكل ما يستحقه) . فالله هو الحق.

والمقصود من الخلق هو احقاق الحق.. واحقاق الحق هو الخير كما أن العدل والقسط هما الخير..﴿ ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ (٨٥ ـ الحجر) .

وصدق الله العظيم حينما يقول فى حديثه القدسى مجملا القضية كلها: كان الإحسان قصدى حينما خلقت الخلق .

فكل صنيعه إحسان وكل فعله انعام.. وقد انعم بالوجود على الجميع مؤمنهم وكافرهم وما أتى بهم إلى الدنيا كرها وإنما طلب الجميع منه أن يوجدوا وتوسلوا إليه أن يخرجهم من برزخ الامكان إلى دنيا الواقع فأستجاب لتلك النفوس وأخرجها واعطاها اليد والقدم واللسان والعقل وافسح لها عمرا زمنيا تعيشه لتفعل ما تشاء.. لتسىء أو لتحسن حسب مرادها.. وكان يعلم مسبقا بما ستفعل.. ولم يكن فى هذا العلم مايناقض حرية اختيارها.. كما يحدث أن يعلم الواحد منا مسبقا بالفراسة أن ابنه هذا سوف يرسب فى الامتحان وأن ابنه الآخر سوف ينجح.. فيرسب هذا وينجح ذاك كما تنبأ. دون أن يكون له يد فى

رسـوبه أو نـجاحـه .. وبصـيرة الله أعظم وعلمـه أشـمل .

وقد خير الله السماوات والأرض والجبال فيما يعرضه عليها .

﴿ إنا عـرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبـال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾

وإذا كان هـذا شأنه سبحانه وتعـالى مع السماوات والأرض والجبال فكيف لا يخير الإنسان فى مجيئه وهو أكرم خلقه .

فالإنسـان مخير حتى فى ايجاده واخراجه من برزخ الامكـان إلى دنيا الواقع .

وقد طلب أن يوجد وتوسل لربه أن يخرجه من حالة عدم الفعل التى هو فيها وأن يعطيه القدرة على الفعل فأعطاه ما أراد .

ويعتقد الشيخ الأكبر. ابن عربى.. فيما هو أكثر من ذلك.. أن النفوس كـان لها قدم فى بـرزخ الامكان.. وانـه كـان لها ثبوت وصف وكـان لها تشخص وأن كل نفس خرجت من ظلمتها وهى تنوى وتضمر ما تريد .

ودليله على ذلك من القرآن.. يقـول ربنا فى سورة يس : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول لـه كن فيكون﴾ (٨٢ ـ يس) ونفهم من كلمة يقول له أن الشـىء كانت له كينونة قبـل أن يخرج إلى الوجود بحيث يخاطبه ربنا موجها اليه الأمر.. ونفس الصيغة تتكرر فى سورة مريم ـ ٣٥ والنحل ـ ٤٠ والبقرة ـ ١١٧ وآل عمران ـ ٤٧ وغافـر ـ ٦٨ مما يدل على تـوكيد المعنى .

وقـد خلق الله الأنفس وسواهـا وألـهمهـا امكانيـة الفجـور وامكانيـة التقوى واعطاها الامكانيتين ولم يخلق نيتهـا ولم يتدخل فيما تضمر وما تختار بل تركها حرة .

هل كـان هتلـر ينـوى كل هذا الـذى فعلـه قبل أن يأتى إلى الـدنيـا ويفعله..؟؟!!

وقال ابن عربى أكثر من هـذا : إن تشخص النفوس أزلى وأننا كنا فى الأزل (أزل الامكان) بأشخاصنا وأننا تعـارفنا وتناكرنا منذ الأزل.. وأن فى ذاكرتنا بقية من هذا التعارف القديم (الأرواح جنود مجندة ما تعارف

منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.. ومقصود كلمة الأرواح فى الحديث هو النفوس لأنها هى وحدها المشخصة) .

﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ (١٧٢ ـ الأعراف) .

وتلك مخاطبة أخرى بين الله وبين الأنفس قبل أن تنزل إلى الدنيا.. ألست بربكم.. فأجابت الأنفس فى إقرار.. بلى.

ولعل هذا هو عالم الذر الذى تكلم عنه السلف.. ومن قبل عالم الذر ومن قبل عالم النفوس.. كان الله ولا شيء معه.. فالنفوس مخلوقة وكلام ابن عربى عن أن النفوس كانت لها كينونة وتشخص من قديم قبل ميلادها فى الدنيا.. لا يعنى أى شرك بينها وبين القدم الآلهى.. إذ أن قدم الله هو قدم القدرة والكمال ، أما تلك النفوس فإن قدمها هو قدم الافتقار والنقص والاحتياج .

وما كانت لتستطيع أن تخرج من عالم الامكان إلى عالم الواقع بذاتها.. وما كانت لتستطيع أن تحيا بذاتها وما كانت لتوجد كذر فى محيط العدم بذاتها .

فالله هو الخالق القادر بذاته الحى بذاته.. أما هى فما كانت لتقدر إلا بالله وما كانت لتحيا إلا بالله.. وما كانت لتخلق إلا بالله.. وفى قول آخر انه اسماها نفوسا لأنه خلقها من انفاسه وكلماته.. عيسى كلمة.. ويحيى كلمة.. وكل مخلوق جاء إلى الخلق بكلمة .

يقول الله لأم موسى بعد أن أمرها بأن تلقى وليدها فى النيل : ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ (٧ـ القصص) .

لقد تقرر أن موسى رسول وهو رضيع.. بل تقرر أنه رسول قبل أن يولد.

لقد كانت له صلاحيات الرسول من قبل أن ينزل إلى الدنيا ويكون له فيها ابتلاء واكتساب.. وكانت لتلك النفس الموسوية تشخص الرسل من قبل أن تولد وعيسى عليه السلام.. ماذا قال حينما تكلم فى المهد؟؟!!

﴿قال إنى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما

كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴾ (٣١ ـ مريم) .

أين آتاه الله الكتاب ومتى أوصاه.. انه يتكلم بالفعل الماضى وهو فى لفافة المهد.. المعنى صريح.. أنه أوتى النبوة قبل أن يولد .

ومحمد عليه الصلاة والسلام وحديثه الثابت الذى قال فيه : «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» .

وفى صيغة أخرى : «كنت نبيا وآدم يجدل فى طينته» .

وكلامه للصحابى جابر :

أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر .

ويقول عنه القرآن انه كان أول المسلمين فى الوقت الذى يقول فيه عن ادريس ونوح وابراهيم واسحاق ويعقوب وداود ولوط وصالح وايوب وعيسى وسائر الأنبياء انهم مسلمون فكيف يكون الآخر أولا .

﴿قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ (١٦٢ ـ ١٦٣ ـ الأنعام) .. إلا أن يكون أولهم خلقا وآخرهم بعثا .

ويقول عن موسى أنه أول المؤمنين لأنه أول من شاهد.. وصعقه الشهود فى الآية التى طلب فيها رؤية الله.. وهو وحيد فى ذلك بين كل الأنبياء .

﴿قال ربى أرنى أنظر إليك.. قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾ (١٤٣ـ الأعراف) .

كل تلك الآيات تقترح مرحلة من الوجود سابقة على مرحلة الخلق الطينى .

وفى سورة التين ما يشير إلى هذا :

﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين﴾(٥ـ التين) .

وخلقنا الحالى فى أبدان طينية تتعب وتمرض وتشيخ وتموت لا يمكن

أن يـكون هـو الخلق الذى وصـفه الله بأنه فى أحســن تقـويم .

إذن هناك وجود ســابق كنا فيه نفوسا نـورانية فى أحسن تقويم قبل أن ننـزل فى قـوالب الطين فى الـدنيا التى هى أسفـل سافلين بـالنسبـة للسموات السبع الطباق من فوقها .

يقول ربنا فى اللقاء الأخير يوم القيامة :

﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ (٩٤ـ الأنعام) .

ونحن يقينـا لن نلقى الله يوم القيـامة كخلق طينى ، بل كخلق آخـر نهائى يعيش مخلدا فى النـار أو مخلدا فى الجنة.. ولـو كنا سنبعث كخلق طينى لاحترقنا فى النار فورا ولتحولنا إلى دخان .

ومن هنـا تكون كلمـة ـ كما خلقنـاكم أول مـرة ـ تشـير إلى الخلق النورانى الأول وليس إلى المرحلة الطينية التى نعـرفها فى الدنيا.. وتكون المرحلة التى نعيشها الآن هى.. أسفل سافلين .

والخلق الأول كان قبل اسجـاد الملائكة لآدم وقبل مجيئنـا من حواء كنسل طينى.. مصداقا للآية .

﴿ولقـد خلقناكم ثـم صـورناكم ثم قلنـا للمـلائكة اسـجدوا لآدم﴾ (١١ـ الأعراف)

ومعنى ذلك أن الأمر الذى صدر للمـلائكة بالسجود قد انسحب على الرتب الأدنى بالتبعيـة مثل ابليس وقبيله ومثل الإنس.. الذين خلقهم الله فى أحسن تقويـم ونحن منهم.. ومنا من أطـاع ساعتها ومنـا من عصى. وهكذا تفـاضلت مراتبنا منـذ الأزل.. ومنذ تلك الحضرة العلويـة المهيبة التى جمعت الكل.. وربما كان تعارفنـا الأول منذ تلك الحضرة الجامعة.. وكذلك كان تعارف كل منا بشيطانه (قرينه) .

والذين سبقت لهم من الله الحسنى هم الذين سبقـوا بالطاعة فى تلك الحضرة .

إن البحر عميق ومحيط الغيب بلا شواطىء وأمواج الأزل يغرق فيها الملاح.

ومعرفة الأمر على وجه التفصيل مستحيل.

ماذا كنا وكيف كنا وكيف أصبحنـا.. وما المصير .. ومن هم أصحاب الجنة ومن هم أصحاب النار؟.. لاندرى .. وقـد يتحول الكافر إلى مؤمن عظيم الإيمان فى آخـر لحظـة من حياتـه.. وقـد تحول سحـرة فرعـون الوثنيون الكفـرة إلى مؤمنين أبرار أخيار واستشهـدوا ورفعوا إلى الجنة فى ساعة من نهار.. بينما انتكس السامـرى حبيب جبريل إلى وثنى كافر ملعون ليهبط إلى قرار الجحيم فى أخريات أيامه.

والله وحده هو الذى يعلم بالخواتيم.

والأمر جـد خطير بل هو أمر جلل لأنـه سوف يتوقف عليـه مصيرنا الأبدى.. اقرأوا كتبكم فى إخلاص وأعيدوا النظر فى أحوالكم.. واسجدوا لله فى تبتل.

وأسألوه الهدى والتوبة.

وأسألوه العلم فهو أثمن من كل الدنيا التى تتهالكون عليها.

وما قطعنـاه فى هذا البحر سبـاحة كـان اجتهادا منا قـد يصيب وقد يخطىء.

والعلم عند الله.

ترى هل خـرجنا عن مألـوف مانكتب عن أمـريكا وإسرائيل والحرب والسلام.

ليتهم يخرجـون معنا فى تلك السـاعـة من التأمل ويبحرون معنـا فى ذلك البحر.

ليتهم يكسرون زنـزانة الأطماع والمصـالح.. ويبحرون بأفكـارهم فى بحار الغيب ليعـودوا أطهر وأجمل وأنبل وأكثر إنسانيـة وتحررا مما هم فيه.

إن الأديان ليست فقط صلوات وإنما هـى تلك الملاحة الحرة فى بحار الغيب وهى ذلك الوقـوف فى هيبة وخوف أمـام موت قادم لانعـرف ماذا وراءه.. وميلاد مضى لاندرى ماذا كان قبله.

والله المحيط بكل الزمان هـو الوحيد الذى يعلم مـاذا كنا قبل.. وماذا نكون «بعد».

والذى وقف على حـافة الغيب وارتجف قلبه هو الذى ولـد بحق وهو المؤمن بحق.

وإنما تبدأ إنسانيتنا من هذه الوقفة المرتجفة.

ولو وقف كل الناس متأملين أمـام رهبة الموت.. لما قامت حروب ولما اقتتل اثنان على شبر أرض.

وما زلنا ننادى عليهم أن يسمعوا.

ولكننا للأسف ننادى من مكان بعيد.

الخــاتمـــة :

تظن إسرائيل أن العد التنازلى قد بدأ وأن دولتها الكبرى فى طريقها إلى الميلاد إن لم تكـن فى السنة القادمـة فهى قطعـا فى السنة التى بعـدها.. أليست أمـريكا كبرى دول العـالم معهـا وأوروبـا معها وإنجلترا معهـا والغرب كلـه معها.. وروسيا تضرب مـاتبقى من دول إسلامية آسيـوية ضربات قاتلة تحت الحزام وأمريكا تصادر بالفيتو آخر أمل للمسلمين فى القدس وتكرس المدينة المقدسة حقا أبديا لليهود.. إن الخاتمة مضمونة.. ولا ينقصها إلا الإشهار.

ولكنى أقول : إن هـذا العلو سوف ينتكس إلى هزيمة مـؤكدة.. ليس لأننـا الأقوى ولكـن لأن الملك له مـالك غير أمـريكـا وأوروبا وروسيـا.. وإنما تلك كلها ممالك يديرها الله ضمن مايدبر.

وقد وقفت طويلا أمام صورة نشرت أخيرا للمتحدث الرسمى للحزب الـديمقراطى المسيحى فى ألمانيـا.. كريستيـان هوفمان.. وهـو راكع على السجـادة يصلى صلاة المسلمين.. فقـد أسلم الـرجل.. وعجبت وقلت فى نفسى.. كيف اقتحم الإسـلام قلب هـذا الرجل.. وهـو فى صميم القلعـة الأوروبية المعـادية.. والمسلمـون هناك فى أذل أحـوالهم.. ومن قبل ذلك روجية جارودى الشيوعى السابق فى فرنسا.

ومراد هوفمان السفير الألمانى.. وموريس بوكاى الطبيب المعروف فى باريس.

ومحمد على كلاى.. وتايسون.. وغيرهم وغيرهم.

يا أخوانى لا يغركم جبروت الجبابرة

إن الصرب يطحنون فى المسملين طحنا ويـرتكبون أشنع الجرائم وقد أطلق الغرب الظالم أيديهم.

ولكن انظروا إلى يد الله تعمل فى الخفاء.

واستمعوا معى إلى ذلك الهمس الموحى من وراء الأستار.

إن الله يريد أن يقول شيئا.لا تعجلوا وأبشروا بالخاتمة.

لا أظنني وحـدى الـذى عشت تلك اللحظـات وبـاشرت ذلك الشعـور.. ذلك الإحساس المؤنس قـد عـاشه كل منـا حينما بلغ شاطىء البحر وألقى بكل همومه خلفـه وطرح الدنيا وراءه وألقى بنظرة شـوق عانقت الميـاه اللازورديـة وغرقت فى لانهائيـة الأفق واستسلمت لتلك المعيـة المهبمـة وذلك الحضـور الغيبى.. ذلك العنـاق الجميل مع المطلق.. فأنا وحـدى ولست وحدى.. فمن وراء الزرقة الـلازوردية ومن خلف همهمـة الموج ومن وراء هـذا الإطار البـديع واللـوحـة المرسومـة بإعجاز هنـاك يد الخالق المبـدعة لكل هـذا.. هناك ذات الـرسام انشقت عنها الحجب واستشفها الوجدان واستشرفتها البصيرة.

فكأنما يـدور الخطاب بين ذات الـرب وذات العبد.. وكأنما يقـول لى ربى:

ليس بينى وبينك بين .. ليس بينى وبينك انت..

هـذا أنـا وأينما تـوليت فليـس ثمـة إلاوجهى كـل شىء لى، فكيف تنازعنى مالى، كل شىء لى وأنا لاشريك لى.

حتى«الأنا» لى وانت تدعيها لنفسك.. وهى لك نفحة منى أعطيها متى أشاء واستردها متى أشاء.

هى لحظـة فريـدة من لحظـات التجرد الكـامل يشعـر به أصحـاب القلـوب فى مجابهة الجمال.. لحظـة من لحظـات التبرى والتخلى عن كل

الدعاوى والمـآرب والأوطـار .. والخضوع لصولة الجمال والجلال.

لحظة استنارة وإدراك وتوبة وتنازل واعادة الحق لصاحبه.

ارتفع الحجـاب.. ومـا كـان حجابى سـوى نفسى.. سـوى «الأنـا» المعاندة داخلى.. فما عادت فى داخلى أنانية ولامنازعة ولاأدعاء لحق.. فقد أعدت كل الحق لصاحبه.. لله وحده.. فـالله وحده هو الحقيق بأن يقول «أنا الذى هو أنا » .. انما اقولها أنا على وجه الاستعارة.

﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾ (١٧ ـ الأنفال).

﴿ وما رميت إذ رميت ولكن لله رمى ﴾ (١٧ ـ الأنفال).

فهذا هو الله يفعل على الدوام.. وهو الفعال لكل شىء.

وحينما يبـدو ان الطبيب هو الـذى يشفى والطعـام هو الـذى يشبع والماء هو الذى يروى والسهم هـو الذى يقتل.. فإنما هى الأسباب تفعل فى الظاهر.. والله من وراء الأسباب يفعل فى الحقيقة.. هو.. أنه هو دائمـا.. هو.

هو الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

ولحظة الكشف اشهـدتنى الابداء والاعادة فى حكومـة التفريد ومحت عنى مايرجع الى ذاتيتى ومحت عنى «الأنا» الأنانية داخلى.. ورفعتنى الى ذروة معرفية.. والى مقام.. ماثم إلاالله.

﴿ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ﴾ (٩١ ـ الأنعام).

﴿ قل إن صلاتـى ونسكى ومحياى ومماتـى لله رب العالمين ﴾ (١٦٢ ـ الأنعام).

انتهى فى داخلى كل مـــايخصنى.. فأنـــا كلى لله.. محيـاى ومـمـــاتى ونسكى وصلاتى.

أكاد أسمع صوت الله فى قلبى.

ألق الاختيار، ألق المؤاخذة البتة.

تنـازلت سـاعتهـا عن اختيـارى بـاختيـارى ورضيت بـاختيـار الله وأسلمت نـاصيتى لربى فسقطت عنى المؤاخـذة وحقت لى المودة.. وذلك هو الاسلام الكامل.. اسلام «الأنا» لخالقها يقلبها فى الأحوال كيف يشـاء.

سقطت كل الـدعاوى وعـدت الى المبتدأ.. الى الفطـرة والبكارة الأولى.. حيث ماثم إلاهو.. وذلك مقام الفناء عند أهل الأشواق.

وهـو حظ الافـراد الكمل والأنبيـاء والصديقين والأبـرار يعيشـونـه طوال الوقت ، أما نحن فحظنا من هذا المقام لحظة.

حظنا.. شميم.. ووقفة على العتبات ذات صباح.

يقول العارف الكامل محمد بن عبد الجبار بن الحسن النقرى :

بـداية الـوقفة الا يكـون هنـاك «سوى» لتكـون عنده وقفـة.. فأنت لاتعود ترى ألا الله حيثما توجهت.

﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾ (١١٥ ـ البقرة).

لاشيء سوى الله.

على اتساع الـوجود.. لامـوجود بحق إلاهـو.. وانما وجودنـا مستعار منه ومقترض من وجوده وموهوب من فضله.

ومن يؤتى هذا الاحساس تكون حياته كلها سكر وعذابه كله شكر.

يقول مولانا الشاذلى لربه مبتهلا:

خذنى اليـك منى وارزقنى الفناء عنى.. ولاتجعلنى محجـوبا بحسى مفتونا بنفسى.

انه يريد ان يستحضر تلك اللحظات على الدوام ويعيش فى هذا القرب طوال حياتـه.. وهيهات.. فهذا مقام لاينال بـالتمنى.. ولايبلغه إلا آحاد.. هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى.. وصنعهم الله على عينه.

ومن يتذوق تلك اللحظـات يشتاقها ويتشممهـا ويتحسسها من وراء الحجب والأسباب والمظاهر ويـراها فى النعيم وفى العذاب وفى العطاء وفى الحرمان.

ويقول هذا العارف المشتاق:

ولولا ســـطوع الغيب فى كـل مظهـر
لأحـــرقنى شـوقى وأهلكنى وجـــدى

فهو يـرى ذات الحق تسطع من وراء الحجب والمظاهر وتبـدو له فى كل شىء.. فى ابتسامـة الوليد.. وفى تفتح البرعم.. وفى طلعـة الفجر.. وفى

حمرة الشفق.. وفى زرقة البحر.. وفى عطر الورود.. وفى العطاء وفى الحرمان وفى البلاء وفى النعيم.

وهو يقرأ مشيئة الله فى الحوادث ويفض شفرة ارادته فى مجريات التاريخ.

والعارفون الكمل كالأطفال الأطهار يحيون فى انبهار دائم طوال الوقت ويقولون : نحن فى سعادة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف.

وهى ليست سعادة السلبية والعزلة والانقطاع بل هى سعادة إيجابية فاعلة، فالكاملون منهم مثل سيدى أبو الحسن ، الشاذلى وعبدالقادر الجزائرى ونجم الدين كبرى حاربوا الصليبيين والتتار وقاتلوا الاستعمار فى الشمال الافريقى وفى السودان وتصدوا للباطل حيث كان ولم يركنوا للعزلة ولا للتواكل.

وكان نجم الدين كبرى يقذف بالحجارة.. التتار الذين يرمونه بالنبل.. وهو يترنم فى نشوة هاتفا: أقتلنى بالوصال أو بالفراق.. حتى سقط فى بركة من دمه ولفظ أفاسه.

فلم يكن يبالى على أى وجه كان فى الله مقتله فهو المحب المشتاق فى جميع الأحوال.

وهؤلاء هم الأكابر الأفراد.. حظنا منهم لحظة.. وشميم حال.. وذكرى عطرة.. وتلك هى صرافة التوحيد وترنيمة لا إله إلا الله.. تجدها شذرات متفرقة فى الإنجيل وفى التوراة وفى نشيد اخناتون وفى كتاب الموتى.. وتجدها مستخلصة مجموعة مكثفة عميقة هائلة فى القرآن وكأنما هى معزوفة سماوية أو سيمفونية علوية قدسية تترنم بها السطور والآيات.

وفى بحار ابن عربى وأبو حامد الغزالى وابن الفارض وابن عطاء الله تجد سكارى التوحيد من الأكابر الذين سجدوا فسجدت قلوبهم فلم ترتفع من سجدتها حتى لفظوا أنفاسهم.

جعلنا الله منهم وختم لنا بالسلامة ببركتهم.

إنه سميع مجيب.

والتجلى الآخـر

وقـد يعتب علىَّ الأصدقـاء الخلصـاء ويقولـون لى: كيف تترك نفسك لتغيب فى هـذا السكر والـوصال الصـوفى وقد عهـدناك صـاحيا لـدرجة الصراخ.

وأقول لهم : إنما أسكـر هذا السكـر لأصحو وأفيق واستجمع نفسى واحتشد لالتحم من جديد بهذا العالم وأصرخ.. فالواقع الذى نعيشه أمر من أن نصارعه فرادى.. إنما نصارعه بالله.. وبدون الله لا أمل.

وكان نبينا يقـول لربه : بك أحيا وبك أمـوت وبك أصول وبك أجول ولا فخر لى.

وقـد حـاول جبـابرة روسيـا لينين وستـالين وغيرهما أن ينهضـوا بروسيا بدون الله وبدون دين فسقطوا بها وسقطوا معها إلى الهاوية.

ومثل تجلى الله البـديع والجميل فى سماواته والـذى ذكرنـاه فى وقفة البحر.. كـان تجلى الرحيم والـرحمن والناصر والجبـار والمنتقم فى غزوة بدر على قلة من المسلمين بلا عدة وبلا عدد فانتصروا على كثرة مسلحين بالعدة والعتاد.

﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ﴾ (١٢٣ ـ آل عمران)

﴿ أم حسبتم أن تـدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلـوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلـزلوا حتى يقول الـرسول والذين آمنـوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ (٢١٤ ـ البقرة) .

فتجلى عليهم الله بنصره.

ويأتى النصر فى الحالين على غير المألـوف فتنتصر القلـة على الكثـرة وتنهزم العدة والعتاد أمام الفقـر العسكرى والحربى.. حتى تكون حجة الله ملـزمة وحتى لايخرج من المنتصريـن من يقول: ان الخطـة والتكتيك والكـر والفـر هو الـذى أتى بـالنصر.. والله هـو الفـاعل دائما فى جميع الحالات ولكنه يتخفى بالأسباب.

وما شقت عصا موسى البحر ولا ابتلعت مايلقى السحرة من أفاعٍ وثعابين ولا فجرت عيون الماء من الصخر.. ولكن الله هو الفاعل من وراء الأسباب وتلك مشئيته وكلمته وإنما أخفى إرادته فى أسبابه.

وإنما يكون التجلى أحيانا باهرا ساحرا وخالبا للألباب لينقطع الشك.

وما السيول والأعاصير والزلازل والبراكين والصواعق إلا جند من جنود ربك « وما يعلم جنود ربكَ إلا هو » .

ولا يقنط المؤمن ولا ييأس ولا يلقى سلاحه مهما تكاثر عليه الأعداء ومهما حاصرته الهموم.. لأنه يرى قدرة الله فى كل شىء.. ويرى البعوضة حاملة الملاريا مجندة ويرى الفيروس حامل الإيدز مجندا.. ويرى الأعصار مجندا.. والرصاصة مجندة.. ويرى مشيئة الله تفعل ولا سواها.

والصمود أمام المحال من صفات المؤمن لأنه يعلم أنه يصارع بيد الله لا بيده.. وهو لا يعرف الجبن ولا الخوف ولا الفرار.

ولهذا اقتضى الإيمان.. الابتلاء.. لأن الكلام سهل ولأن كل واحد يدعى أنه مؤمن وأنه مستحق للجنة.. وقد زعم الجبابرة أمام شعوبهم حتى لحظة موتهم ، أنهم كانوا يحسنون صنعا واعتقدوا أنهم يستحقون التمجيد والإشادة.. فلزم الابتلاء حتى يصحو كل واحد على حقيقته وحتى يعلم منزلته.. والله فى غير حاجة إلى الابتلاء فهو يعلم منازلنا منذ الأزل.. ولكننا نحن الذين يلزمنا الابتلاء حتى نعرف أنفسنا.

واليوم استدار الزمان دورة كاملة ونوشك أن نقبل على معركة بدر أخرى ويتكاثر علينا الأعداء من خارجنا ومن أنفسنا ونتراجع حتى يصبح ظهرنا إلى الحائط.. ويجثم علينا مستقبل مظلم.. ونعود أحوج مانكون إلى الإيمان الصحيح والمعرفة الصحيحة بالله.. فلا سلاح حقيقى إلا هو ولا حصن إلا حصنه.

وتتجمع النذر والبشارات فى الأفق.

فهل نحن فى مستوى الامتحان؟

وهل نحن مؤمنون حقا؟

هذا هو السؤال الذى سوف تجيب عنه السنوات العصبية القادمة.

حـرب المـيـاه

منطقة الشرق الأوسط سوف تصبح ميدانا لحرب المياه فى القريب.. وقد بدأت مقدمات تلك الحرب من الآن.. فالمياه تسرق بالفعل من نهر الليطانى ونهر الأردن والمياه الجوفية تسحب من تحت أرض الضفة لتروى مزارع المستوطنين ولا يسمح للفلسطينى صاحب الأرض بحفر بئر إلا بإذن.

وهناك مائة مليون يتكاثرون ويتناسلون ويتضاعفون على حصة مائية محدودة لا تزيد.

والعراق ولبنان والأردن وفلسطين وإسرائيل تعتمد على أنهار الأردن والليطانى واليرموك ودجلة والفرات وعلى صحارة جوفية محدودة تحت الأرض وعلى الأمطار التى تهطل على جبال تركيا.. و«المحبس» القادمة منه أكثر تلك المياه فى يد تركيا تفتحه كما تشاء لمن تشاء.

وقد ارتبطت إسرائيل بمعاهدات مياه من الآن بتركيا.. وسوف تشترى منها حصصها الإضافية فى المستقبل بالدولار.

أما مصر فتعتمد على مياه النيل القادمة من أعلى الحبشة وعلى صحارات المياه الجوفية فى سيناء وسيوة والوادى الجديد والصحراء الغربية.

ومصر تفقد خمسين فى المائة من مياهها المتداولة بسبب السيفونات والحنفيات ومحابس المياه السائبة والسباكة الرديئة.. تتسرب هدرا إلى بالوعات الصرف.. وتفقد حصة أخرى تتبخر وتضيع بسبب أسلوب الرى البدائى بالغمر.. ويمكن توفير تلك الكميات الضائعة فورا بتجديد السباكة واستبدال الرى بالغمر بالرى الحديث بالتنقيط.

وموجات الجفاف كوارث محتملة فى المستقبل والتدخل العدوانى

بحجز المياه ببناء السدود على منابع النيل فى الحبشة احتمال آخر تنكره الأطراف صاحبة المصلحة ولكنه فى حالة الحرب سوف يصبح الاستراتيجية رقم١

وأكبر قدر من الفاقد لمياه النيل يحدث بالتبخر من الروافد التى تنساح فى السودان بعرض مستنقعات لمئات الكيلومترات المربعة لاتكاد ترى لها ضفافا.. وسوف يرتفع سعر المياه فى المستقبل ليصبح أعلى من سعر البترول.. ثم ليصبح أغلى من سعر البنزين.. ثم تندلع بسببه النزاعات والحروب فتصبح نقطة الماء أغلى من نقطة الدم.

وكل هذا يمكن تجنبه بالتخطيط الفورى والتدبير والتفكير للمستقبل وعمل المعاهدات المائية والاتفاقات الضرورية مع الدول صاحبة الشأن من الآن.. ثم البدء بتجديد السباكة القديمة كلها بطول وعرض مصر فى الريف والحضر والوجه البحرى والصعيد واستبدالها بسباكة جديدة محكمة ثم الامتناع عن الرى بالغمر واستبداله بالتنقيط فى كل الحقول والمزارع ثم تربية النشء المصرى على عادات جديدة اقتصادية فى استخدام نقطة الماء وفى استخدام الحنفية والسيفون والطلمبة.. وأخلاقيات مائية جديدة تحل محل السفاهة المائية الموجودة والإسراف الإبله فى استخدام سائل نادر ثمين سوف يصبح يوما أغلى من الصهباء والشمبانيا وأندر من لبن العصفور.

مغالطة

يجيب شيمون بيريز على ما يجول فى خاطر بعض العرب حول موضوع السوق الشرق أوسطية وعلى المخاوف من أن إسرائيل تخطط للهيمنة على المنطقة العربية.. بأن حكاية الهيمنة كلام فارغ.. وأن السوق الشرق أوسطية هى سوق تنافسية لا أكثر ولا أقل.. ويتساءل: هل يمكن أن تتهم اليابان بالهيمنة إذا راجت منتجاتها.. ان التجارة تنافس ومنافسة.

وفى إجابة بيريز مغالطة.. فالمنتجات اليابانية لا تساندها ترسانة نووية ولا عملقة عسكرية وليس لليابان أجهزة ضغط مثل التى تملكها إسرائيل ويكفى أن أمريكا بكل عملقتها وقوتها وانفرادها بالعالم.. هى ذاتها بمخابراتها وبوارجها وأقمارها الفضائية فى خدمة إسرائيل.

وهى تضغط بكل امكاناتها بالتهديد والإغراء بالمعونات على كل زعامات المنطقة من أجل تمرير صفقة السلام الإسرائيلى وبالشروط الإسرائيلية.. وليست أمريكا وحدها بل الغرب كله من ورائها يساند إسرائيل ، والهيمنة الإسرائيلية حقيقة تفرض نفسها على المتابع للأحداث.. وإسرائيل تتصرف كإسرائيل كبرى من الآن رغم أنها مازالت صغرى من ناحية الجغرافيا والمساحة وكلام بيريز تجميل وماكياج لهذا الواقع المرعب .. ولكن ينقصه الإقناع.

■■ الفهـــــرس :

صفحة

■ إنشادية دينية فى تسبيح وتمجيد وتحميد رب العالمين ٥
■ النبوءة .. قراءة للمستقبل ٣٣
■ وكـــر الثعـــابين ٤٣
■ هـــذا التطبيـــع ٥٣
■ حكاية الـ ٩٩,٩٪ والإجماع الخراف ٦٣
■ هل هى جاهلية جديدة ٧٣
■ الإعصار القادم ٨١
■ استعمال الإسلام لهدم الإسلام ٩١
■ ميلاد جمهورية فاضلة اسمها البوسنة ١٠١
■ الخيط الرفيع بين النار والجنة ١٠٩
■ ســـاعة تأمـــل ١١٩
■ لحظات السكْـر ١٣١

رقم الإيداع ٢ / ١٩ / ٩٦
الترقيم الدولى I. S. B. N.
977 - 08 - 0271 - 9

طبعت بمطابع دار اخبار اليوم

To: www.al-mostafa.com